خمسون فكرة



خمسون فكرة


بسم الله الرحمن الرحيم

خمسون فكرة

هادي المدرّسي

دار المحجّة البيضاء

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

ISBN: 978-614-426-113-2





الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢

ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤

إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥

ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ

غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

١

الإيمان

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾[1].



الإيمان نوعان: صادق، وادّعاء.

فالإيمان الصادق يلامس شغاف القلب.

والادّعاء لا يتجاوز أطراف اللسان.

والصادق تظهر آثار إيمانه في المواقف، والأعمال، والأخلاق، والعلاقات، وجميع حركات صاحبه.

أمّا الادّعاء فلا أثر لإيمانه في المواقف، والأعمال، والأخلاق، والعلاقات.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٨٩.

والصادق لا يطلب لإيمانه ثمناً، ولا يبحث فيه عن مصلحة.

أمّا الادّعاء فيلتزم بإيمانه مادام ينفعه، ويصلح أمره، فإذا أضرّ به لفظه إلى غير رجعة.

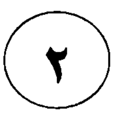
يقول الإمام الحسين عليه السلام: «إنّ الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معائشهم، فإذا مُحّصوا بالبلاء قلَّ الدَّيانون»[1].

لقد حُكم على أحد رجال الدين بالإعدام من قِبل حكومة ظالمة، بتهمة المطالبة بالعدل والإصلاح.

وقبيل أن يضعوا حبل المشنقة في عنقه، جاءه الموظّف في السجن ليلقنه الشهادتين، فقال له رجل الدين: «هذه شهادة نحن نُقتل بها، أمّا أنتم فتأكلون بها خبزاً».

---

(١) تحف العقول، الشيخ ابن شعبة الحراني، ص ٢٤٦.



ثلاث نصائح

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾[1].



في بدايات دراستي قال لي أبي: هنالك ثلاثة أعمال:

الأوّل ـ إفعله، سواء لله، أم لغيره.

الثاني ـ لا تفعله، سواء لله أم لغيره.

الثالث ـ إذا إستطعت أن تفعله لله فافعله، وإلّا فلا تفعل.

أمّا الأوّل ـ فهو تعلّم العلم، فسواء لله أم لغير الله، فإنّ عليك أن تتعلّم العلم.

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

ففي حكمة منسوبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «تعلّموا العلم ولو لغير الله فإنه سيصير لله»[١].

ويقول الإمام علي عليه السلام: «اطلبوا العلم ترشدوا»[٢].

أمّا الثاني ـ فهو أن تصبح قاضياً، فإيّاك أن تفعل ذلك حتّى لله، لأن القاضي على شرف الهلاك على كلّ حال.

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين**»[٣].

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام لشريح: (قد جلستَ مجلساً لا يجلسه إلا نبيّ أو وصيٌّ نبي أو شقي)[٤].

أمّا الثالث ـ فهو أن تكون إماماً للجماعة. فإذا استطعت أن تخلص نيّتك لله فافعل، وإلّا فلا تجعل رقبتك جسراً على جهنّم، يعبر عليه الناس إلى الجنّة، بينما أنت تحترق بالنار.



(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢٠ ص٢٦٧.
(٢) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص ٨٩.
(٣) وسائل الشيعة، الشيخ الحر العاملي، ج ١٨، ص ٨.
(٤) الكافي: ج٧ ص٤٠٦ ح٢.

يقول الإمام علي عليه السلام: «لو خلصت النيات لزكت الأعمال»[١].

(١) غرر الحكم، الشيخ الآمدي، ج ١، ص ٩٣، حديث رقم ١٦٣٠.



طلب الخير
من طرقه التي حدّدها الله تعالى

﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].



الخير كلّه من الله، فما من لقمة خبز يحصل عليه أحد، ولا لحظة سلامة، ولا ساعة عمر، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلّا من ربّ العزّة والجلال.

من هنا ضرورة الطلب دائماً منه، والتضرّع إليه، والدعاء لكي يستمر في إغداق نعمه علينا، ويعطينا ما لم نحصل منها عليه بعد.

إنّما لابدّ أن نخضع لسنن الله تعالى، فإذا كان الله

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

تعالى يطلب من عباده العمل والكد للحصول على الرزق، أو يطالبهم بالذهاب إلى الطبيب للحصول على العلاج، أو يطالبهم بحرث الأرض للحصول على الزرع، فلابدّ أن نشفع الدعاء بالعمل، وطلب العافية بمراجعة الطبيب، وإلّا فلن يستجيب لنا الله.

وقد روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، قال: إن نبيّاً من الأنبياء مرض، فقال: لا أتداوى حتى يكون الذي أمرضني هو الذي يشفيني.

فأوحى الله إليه: لا أشفيك حتى تتداوى، فإن الشفاء منّي[1].

إنّ الفيض كلّه من الله، ولكن لله تعالى سننه وهي مجاري فيوضاته، فهناك نظام وضعه الله في التكوين، والمؤمنون يطلبون فيوضات ربّهم عبر مجاري فيضه، ويتبعون النظام التكويني الذي فرضه على الحياة.

فالله تعالى هو الرزّاق ذو القوّة المتين.

وهو المتفضّل بالعافية على جميع خلقه.

ولكن للرزق طرقه، وللعافية شروطها، وعلى المؤمن

---

(١) وسائل الشيعة، الشيخ الحر العاملي، ج ٢، ص ٦٣٠.

أن يتبع طرق الرزق، ويلتزم بشروط العافية، ويدعو الله تعالى أن يسهل عليه أمر ذلك.

يقول الدعاء: «اللّهم إنه ليس لي علم بموضع رزقي، وأنا أطلبه بخطرات تخطر على قلبي، فأجول في طلبه البلدان، فأنا فيما أنا طالب كالحيران، لا أدري أفي سهل هو أم في جبل، أم في أرض أم في سماء أم في بَرّ أم في بحر، وعلى يدي مَن ومِن قِبَل مَن، وقد علمتُ أن علمه عندك وأسبابه بيدك، وأنت الذي تقسمه بلطفك وتسببه برحمتك»[1].

في الحديث عن الإمام السجاد عليه السلام قال: «مرّ موسى بن عمران عليه السلام برجل وهو رافع يده إلى السماء يدعو الله، فانطلق موسى في حاجته، فغاب سبعة أيام، ثمّ رجع إليه وهو رافع يده إلى السماء.

فقال موسى عليه السلام: «يا ربّ! هذا عبدك رافع يديه إليك، يسألك حاجته، ويسألك المغفرة منذ سبعة أيام، وأنت لا تستجيب له؟

فأوحى الله إليه: «يا موسى، لو دعاني حتّى تسقط

---

(١) مصباح الكفعمي ص ١٦٨.

يداه، أو ينقطع لسانه ما إستجبت له حتّى يأتيني من الباب الذي أمرته»[1].

فإذا كان ربّنا قد فتح لنا أبواب رزقه فإن علينا أن ندخل منها، ثمّ نطلب منه أن يرزقنا رزقاً واسعاً.

(١) البحار، ج ٢، ص ٢٦٣.

٤

بركة المال

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].



أحياناً يصرف الإنسان مالاً كثيراً ويحصل على نتائج قليلة، أو لا يحصل على نتيجة أصلاً. وأحياناً يحدث العكس، فيصرف مالاً قليلاً ويحصل على نتائج كبيرة. فمن يحصل على نتائج قليلة يعتبر خاسراً، ومن يحصل على نتائج كبيرة يعتبر رابحاً.

وهذا يصدق على الربح والخسارة المعنويين، كما يصدق على الربح والخسارة الماديّين.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦١.

ويكون الربح الزائد من باب البركة، التي يعطيها الله لصاحبه، كما يمكن إعتبار الخسارة الكبيرة سلب البركة من صاحبها.

وفيما يلي نموذج للبركة في المال الحلال بقضاء حوائج متعددة.

ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقد بلي ثوبه صلى الله عليه وآله، فحمل (الرجل) إليه صلى الله عليه وآله اثني عشر درهماً، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**يا عليّ، خذ هذه الدراهم فاشتر لي ثوباً ألبسه**».

قال عليّ عليه السلام: فجئت إلى السوق فاشتريت له قميصاً باثني عشر درهماً وجئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فنظر إليه، فقال: «**يا عليّ، غير هذا أحب إليّ، أترى أن صاحبه يقيلنا**»؟

فقلت: لا أدري.

فقال صلى الله عليه وآله: «**أنظر**» (حاول).

فجئت إلى صاحبه، فقلت: إنّ رسول الله قد كره هذا، (وهو) يريد ثوباً دونه (أقلّ قيمة) فأقلنا (الإقالة) فيه.

فردّ عليَّ الدراهم، وجئت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله،

فمشى معي إلى السوق ليبتاع قميصاً، فنظر إلى جارية قاعدة على الطريق تبكي، فقال لها رسول الله ﷺ: «**ما شأنكِ**»؟

قالت: يا رسول الله ﷺ! إنّ أهل بيتي أعطوني أربعة دراهم لأشتري لهم بها حاجة، فضاعت، فلا أجسر أن أرجع إليهم.

فأعطاها رسول الله ﷺ أربعة دراهم، وقال: «**أرجعي إلى أهلكِ**».

ثمّ مضى إلى السوق فاشترى قميصاً بأربعة دراهم ولبسه وحمد الله، وخرج فرأى رجلاً عرياناً يقول: من كساني كساه الله من ثياب الجنّة، فخلع رسول الله ﷺ قميصه الذي إشتراه وكساه للسائل.

ثمّ رجع إلى السوق، فاشترى بالأربعة التي بقيت قميصاً آخر، فلبسه وحمد الله ورجع إلى منزله، وإذا الجارية قاعدة على الطريق، فقال لها رسول الله ﷺ: «**ما لكِ لا تأتين أهلكِ**»؟.

قالت: يا رسول الله ﷺ! قد أبطأت عليهم، وأخاف أن يضربوني.

فقال رسول الله ﷺ: «**مري بين يدي، ودليّني على**

أهلكِ»، فجاء ﷺ حتّى وقف على باب دارهم، ثمّ قال: «**السّلام عليكم يا أهل الدار**»، فلم يجيبوه، فأعاد السّلام، فلم يجيبوه، فأعاد السّلام، فقالوا: وعليك السّلام يا رسول الله ﷺ ورحمة الله وبركاته.

فقال ﷺ لهم: «**ما لكم تركتم إجابتي في أوّل السّلام والثاني**»؟

قالوا: يا رسول الله، سمعنا سلامك فأحببنا أن نستكثر منه، فقال رسول الله ﷺ: «**إنّ هذه الجارية أبطأت عليكم فلا تؤاخذوها**»،

فقالوا: يا رسول الله ﷺ! هي حرّة لممشاك.

فقال رسول الله ﷺ: «**الحمد لله، ما رأيت اثني عشر درهماً أعظم بركة من هذه، كسا الله بها عريانين، وأعتق بها نسمة**»[1].

حقّاً، إنّ المال الحلال، إذا نفق في سبيل الله كان فيه بركات دنيويّة وأخرويّة، أمّا المال الحرام فمهما نمى فلا بركة فيه في الدنيا، ويكون يوم القيامة وبالاً على صاحبه.

---

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ١٤٤.

٥

رحمة الله تعالى

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].



بمقدار ما أن الله تعالى شديد العقاب في موضع النكال والنقمة، فإنّه أرحم الرّاحمين في موضع العفو والرّحمة.

وعلينا أن نحسن الظّن به في جميع الأحوال، ونثق برأفته ورحمته، خاصّة عند نزول البلاء، وعند الموت.

ولكن من دون أن نأمن مكره، ومن دون أن نتجرّأ على معصيته، خاصّة وأن الله في موضع العدل من مملكته، وينتقم من الظالمين والمعتدين.

يقول الدعاء الشريف: «إلهنا وسيّدنا إن غفرت

---

(١) سورة النور، الآية: ٢١.

فبفضلك، وإن عذبت فبعدلك، فيا من لا يرجى إلّا فضله، ولا يخشى إلّا عدله، أمنن علينا بفضلك، وأجرنا من عذابك»[1].

وأكثر مكان يظهر فيه عدل الله من جهة، ورحمته من جهة أخرى هو يوم القيامة.

فقد ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة نشر الله تبارك وتعالى رحمته، حتّى يطمع إبليس في رحمته»[2].

إنّ ربّنا أحياناً يعفو عن كثير بسبب عمل صالح بسيط، ولو أن الباري تعامل مع عباده بالعدل المطلق، ونصبهم للحساب لما نجى من العقاب إلّا المعصومون. قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾[3].

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: **«حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء، إلّا أنه كان يخالط الناس**

---

(١) الصحيفة السجادية، الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، ص ٣٠١، دعاؤه في وداع شهر رمضان.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٢٧٤.

(٣) سورة النور، الآية: ٢١.

وكان موسراً، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسرين، فقال الله ﷻ: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه»[1].

فكما كان الرجل يعفو عمّن يطلبه المال فلا يستطيع الوفاء، فإنّ الله حينما جاءه وهو لا يملك شيئاً من الخير عفى عنه.

(1) مجموعة ورام، ج ١، ص ٨.

٦

هل الناس سيّئون أم أن مواقفهم سيّئة؟

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[١].



ذات مرّة ألقيت محاضرة حول التدخين، وبيّنت مساوئ هذه العادة، وما يترتّب عليها من مشاكل صحّية، سواء بالنسبة للمدخّين أنفسهم أو بالنسبة إلى من هم قريبون منه، وحينما أتممت المحاضرة جاءني أحدهم وكان من المدخّنين، وقال: أيها السيّد! أنت اليوم أعلنت أنك ضدّنا.

قلت: إنني آسف لأنك فهمت محاضرتي بهذه الطريقة، فأنا لست ضدّ المدخّنين، بل أنا ضدّ التدخين. وأضفت: لأنني معك، وأحبّك، وأريد الخير لك، فأنا ضدّ هذه العادة التي ابتليت أنت بها.

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٦.

وكما في التدخين، كذلك في بقيّة الأمور، إن علينا أن ننظر إلى الناس، بشكل عام، على أساس أنهم طيّبون وصادقون، ويحبّون الخير ويكرهون الشّر، أمّا بعض أعمالهم فربّما لا تكون كذلك. فالناس قد يقترفون أموراً سيّئة ويتخذون مواقف خاطئة، بل وبعضهم قد يرتكب الجرائم، ولكن بشكلٍ عام فإنّ الناس هم أصحاب فطرة سليمة خلقهم الله عليها، كما يقول القرآن الكريم: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1]. ولا شك أنّ الله لا يخلق إلّا الجميل.

إنّ المشكلة في الذين يخلطون بين الأعمال السيّئة ومرتكبيها هي أنّ من يتخذ الموقف من الشخص باعتباره ذاتاً خبيثة ربّما يتجاوز عمله ويحكم بدل ذلك عليه، فحتّى لو أنّ الذي ارتكب الخطأ تاب وأصبح من الصالحين فإنه لا يغيّر موقفه منه، وكأنّ الشخص هو من كان سيّئاً وليس عمله.

وهذا ما يحدث أيضاً في الصراعات السياسيّة. فتجد أنّ بعض المنظّمات والأحزاب التي تتخذ مواقف ضدّ الحكومات الظالمة، حينما تنتصر عليها ترتكب نفس الأخطاء ونفس المساوئ التي هي ثارت عليها من قبل،

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

لأنها تجاوزت العمل السيّئ وأصبحت ضدّ أشخاص الحكّام.

ومثل هؤلاء لا يرون السوء في نفس الأعمال، ولذلك هم يرتكبونها فيما بعد. وكأنّ على الناس أن يكونوا ضدّ الظالمين كأشخاص، وليس ضدّ الظلم كفعل، بينما المطلوب دائماً أن نكون نحن ضدّ العمل السيّئ والموقف السيّئ والكلام السيّئ، فإذا كان التبرّي من الظالم مطلوباً فهو لأجل ظلمه وفعله القبيح.

وهذا ما كان عليه العظماء في التاريخ، نذكر منهم الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، حيث إن شامياً رآه راكباً، فجعل يلعنه والحسن عليه السلام لا يرد. فلما فرغ، أقبل الحسن عليه وضحك، وقال: أيها الشيح؛ أضنّك غريباً، ولعلّك شُبّهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو إسترشدتنا أرشدناك، ولو إستحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك. فلو حرّكت رحلك إلينا، وكن ضيفنا إلى وقت إرتحالك، كان أعود عليك، لأن لنا موضعاً رحباً، وجاهاً عريضاً، ومالاً كبيراً.

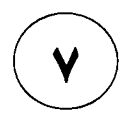
فلما سمع الرجل كلامه بكى، ثم قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه. الله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليَّ، والآن أنت أحبّ خلق الله إليّ[1].

إننا حينما نواجه عملاً سيّئاً، فلابدّ أن نبيّن ردّة فعلنا تجاه ذلك، ولكن بالطريقة التي تؤدّي بالفاعل إلى الندم وعدم تكرار ذلك مرّة أخرى، وليس بحيث تأخذه العزة بالاثم، فيصّر على الخطأ فإذا قلنا له: أنت شخص سيّئ. فلربّما تأخذه العزّة بالإثم ويكرّر عمله، بينما لو قلنا له: إنّك قمت بعمل سيّئ. . وفرّقنا بينه وبين العمل، ولم نحكم عليه، بل حكمنا على عمله، فقد ندفعه بذلك إلى ترك ما يفعل.

إننا لن نستطيع أن نغيّر ذوات الناس ولكن نستطيع أن نغيّر سلوكهم وعملهم، فإذا قلنا لهم: أنتم سيّئون. فمعنى ذلك أن ذواتهم خبيثة فلا نستطيع أن نغيّر شيئاً فيهم، بينما إذا قلنا إنّ أعمالكم سيّئة. فمعنى ذلك أنهم قادرون على أن يغيّروا تلك الأعمال، وأن يصبحوا صالحين.

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب، ج ٣، ص ١٨٤.



شروط العبوديّة

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1].



عندما يكون الشخص موظّفاً في شركة أو مؤسّسة فإن عليه أن يتحمّل مسؤوليّاته، ويقوم بواجباته المطلوبة منه. فليس مقبولاً من أحد أن يتماهل في أداء ما عليه، مادام موظّفاً عند غيره.

وإذا كان هذا الأمر واضحاً للجميع في مسألة الوظيفة، فكيف إذا كان الأمر يرتبط بالعبوديّة؟

فهل يُقبل من أحد أن يتماهل في أداء ما عليه، وهو عبد لمولاه؟

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

إنّ من يرى نفسه عبداً لله، فهو لا يعصي مولاه، ولا يتكاسل عن أداء واجباته.

وأهم ما يجب عليه هنا أمور ثلاث:

١ ـ توجيه عواطفه وغرائزه، حتّى لا تشط به خارج ما حدّده له ربّه.

٢ ـ تحمّل المسؤولية تجاه العباد والبلاد.

٣ ـ تجنّب إرتكاب المعاصي، والموبقات.

ومن لم يفعل ذلك فلابدّ أن ينتظر عقوبات الباري ﷻ في الدنيا والآخرة.

يقول القرآن الكريم: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[1].

وفي هذا المجال يروى أن بِشر الحافي، كان من أهل الهوى والطرب، ومن ثمّ كان غير ملتزم دينيّاً، وكان بيته محل تجمّع أهل الفسوق والعصيان ق للاستماع إلى المغنّين والمغنّيات والمطربين والمطربات.

وفيما كان الإمام موسى بن جعفر عليه السلام يمرّ من أمام باب داره خرجت جارية له، فقال لها الإمام عليه السلام: لمن هذا البيت؟

(١) سورة القيامة، الآية: ٣٦.

قالت: لمولاي بِشر.

فقال الإمام عليه السلام: مولاكِ حرٌّ أم عبد؟

قالت: بل هو حرّ.

فقال الإمام عليه السلام: لو كان عبداً لإستحى من مولاه.

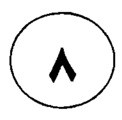
ولمّا تأخّرت الجارية بسبب حوارها مع الإمام، سألها بشر: ما الذي أبطأكِ؟

فذكرت ما جرى بينها وبين الإمام، فهزّته الكلمة: «لو كان عبداً لاستحى من مولاه».

فخرج من الدار حافياً يركض وراء الإمام، حتّى إذا وصل إليه تاب على يديه، وظلّ يمشي حافياً إلى نهاية حياته إحتراماً لتلك اللحظات التي كان فيها حافياً عندما تاب عن ذنوبه[1].

---

(١) تتمّة المنتهى، ص ٣٢٩.



الاهتمام بقواعد السلامة

﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[1].



كما يُقصد الدين في القضايا المعرفيّة، وما يرتبط بعالم الآخرة، والثواب والعقاب، ورضا الباري وسخطه.

كذلك يُقصد في كلّ ما يرتبط بما يُسعد الإنسان في دنياه، مثل قضايا العلاقات الزوجيّة، والاجتماعيّة، والتعامل فيما بين الناس.

ومن ذلك أيضاً قضايا الصحّة، وقواعد السلامة وما يرتبط بالطعام والشراب، وعادات النوم واليقظة، والحركة والنشاط، ولهذا أصبح لدينا الكثير من الأحاديث والروايات في قضايا الصحّة، والطب.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

فمن أكثر ما اهتمّ به النبيّ ﷺ وأوصيائه في طبّهم تقوية جهاز المناعة، من خلال مجموعة أمور منها: التغذية السليمة، واعتماد مبدأ الوقاية، وما شابه ذلك.

ومن ذلك ما قاله الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لولده الحسن عليه السلام: «يا بني؛ ألا أعلمك أربع كلمات تستغني بها عن الطب؟

فقال: «بلى يا أمير المؤمنين.

قال عليه السلام: «لا تجلس على الطعام إلّا وأنت جائع، ولا تقم عن الطعام إلّا وأنت تشتهيه، وجوّد المضغ، وإذا نمت فاعرض نفسك على الخلاء. فإذا إستعملت هذا، إستغنيت عن الطب[١].

وهنالك أربعة أمور تعتبر من أمّهات قواعد الصحّة والسلامة، وهي:

١ ـ ممارسة الرياضة، كالسباحة والمشيء وغير ذلك يومياً.

٢ ـ النوم بالمقدار الصحيح، في الوقت الصحيح.

٣ ـ الاكثار من أكل الخضار والفواكه.

٤ ـ تجنّب التوتّر.

---

(١) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٢٢٨.

ثمّ إنّ هنالك أمراضاً شاعت في المجتمعات الحديثة، ويوعز الأطباء أسبابها إلى العادات والتقاليد الخاطئة، ومنها ارتفاع الضغط، والسكري، والسرطان وما يسمّى بـ MS، وكلّها يمكن تجنّبها من خلال العادات الصحّية السليمة.

ومن باب المثال نذكر أهم ما يقي من مرض السرطان:

١ ـ أكل البروكلي.

٢ ـ أكل الطماطم المطبوخة.

٣ ـ أكل الكيوي.

٤ ـ كثرة أكل الخضار.

٥ ـ أكل على الأقل ٨٠٪ من الفواكه، و٢٠٪ من البقوليات.

٦ ـ الاقتصار على الحدّ الأدنى من اللّحوم البيضاء.

٧ ـ أكل «الكركم» مع الفلفل بمقدار ملعقة صغيرة يومياً.

٩

لا تحكم على الظواهر

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١].



من يدري مَن أفضل مِن مَن؟

ولذلك لا يجوز بناء على ظواهر الأمور وحدها أن نحكم أنّ فلاناً خير من فلان، ولا أنّ جماعة معيّنة خير من جماعة أخرى.

فبواطن القلوب لا يعرفها إلّا خالق القلوب.

يقول سعدي الشيرازي، أنّه كان أيّام طفولته يجتمع في الليالي مع أقرانه من أبناء عمومته في بيت أحدهم، وكانوا يقومون بتلاوة القرآن وقراءة الأدعية. وفي واحدة من تلك

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٣.

الليالي لاحظ سعدي أن أكثر من حضروا ناموا، إلّا عمّه الذي كان منشغلاً بتلاوة القرآن، فالتفت إلى أبيه وقال: هؤلاء الذين ناموا حرموا أنفسهم من معرفة كلمات الرسول، وآيات القرآن.

فقال له أبوه: إنك لا تعرف من أقرب إلى الله وإلى الرسول من غيره، فلعلّ من يكون يقظاناً ويستمع إلى آيات الكتاب لا يكون نقي القلب منتبهاً إلى آيات الكتاب، بينما يكون أحد النائمين يتلقّى الهداية من ربّه وهو في نومه.

وأضاف: أنت أيضاً اذهب للنوم، حتّى لا تحكم على غيرك بهذه السهولة.



قال رجل للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: أنت والله خير الناس.

فقال له: لا تحلف يا هذا، خير منّي من كان أتقى لله تعالى وأطوع له. والله ما نسخت هذه الآية: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1].

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٢٦١.

١٠

أداء الدور المطلوب برغم النواقص

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[١].



يتعرّض المرأ أحياناً لنقص، أو عيب، وربّما يولد وهو فاقد لعضوٍ من أعضائه. فهل يكون ذلك عذراً لعدم أداء أي دور في المجتمع؟

إنّ النقص الجسدي، إذا منع صاحبه من أداء دوره، يتحوّل إلى نقص روحي، وبذلك يصبح النقص «نقصين»، بينما تحمّل المسؤولية وأداء الدور المطلوب ـ برغم وجود نقص أو عيب ـ يتحوّل إلى امتياز لدى صاحبه.

يقول الحديث الشريف: إن أحد أصحاب الإمام

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣٢.

الصادق عليه السلام وإسمه يونس بن عمّار أصيب بالبرص في وجهه، وكان ذلك سبباً لكي يسمع من بعض الناس كلاماً يقلّل من شأنه.

فأصابه الحزن لذلك، فشكى أمره إلى الإمام الصادق عليه السلام.

فقال له الإمام عليه السلام: لقد كان مؤمن آل فرعون مكنّع الأصابع، فكان يقول هكذا ـ ويمد يديه ـ ويقول: يا قوم! إتبعوا المرسلين[1].

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٢٦٠.

١١

كن متواضعاً

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾[1].



من أفضل صفات الصالحين، أنهم، رجال متواضعون، على العكس من الطغاة.

ولذلك فإنه مطلوب من كلّ صالح أن يكون في جميع الأحوال متواضعاً، خاصّة عندما يكون له مقام رفيع.

وأفضل طريقة لكي نتعلّم التواضع هو أن نعيش مع العبيد ونأكل مع العبيد، ونجالس العبيد.

وهذا ما كان يفعله الأولياء. فقد روي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنه مرّ برجل من أهل السواد، دميم

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

المنظر، فسلّم عليه، ونزل عنده، وحادثه طويلاً، ثمّ عرض عليه نفسه في القيام بحاجة إن عرضت عليه..

فقيل للإمام: يابن رسول الله! أتنـزل إلى هذا ثم تسأله عن حوائجك، وهو إليك أحوج؟

فقال الإمام عليه السلام: عبد من عبيد الله، وأخ في كتاب الله، وجار في بلاد الله، يجمعنا وإياه خير الآباء، وأفضل الأديان: الإسلام[1].

وفي حديث آخر عن رجل من أهل بلخ، قال: كنت مع الرضا عليه السلام في سفره إلى خراسان، فدعا يوماً بمائدة له، فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم، فقلت: جعلت فداك، لو عزلت لهؤلاء مائدة.

فقال عليه السلام: مَه، إنّ الربّ تبارك وتعالى واحد، والأمّ واحدة، والأب واحد، والجزاء بالأعمال[2].

---

(١) تحف العقول، الشيخ ابن شعبة الحراني، ص ٤١٣.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٨، ص ٢٣٠.

١٢

التوجه إلى الله في كلّ حال

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[١].



كلّ الناس يتوجّهون إلى الله تعالى في الأوقات العصيبة، مثلاً عندما يمرض أحدهم ويبدي الأطباء عجزهم عن العلاج، ولكن ماذا عندما تكون الأمور جيّدة؟

أليس علينا أن نذكر المنعم عند النعمة، أي عند الرخاء، كما نذكره عند الشدّة، أي عند البلاء؟

العقل يأمرنا بالتوجّه إلى الله لأنه مصدر الخير كلّه، كما أنه لا أحد يستطيع أن يضر من دون إرادته.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

ولكن لماذا فقط عندما تشتد بنا الأزمات نتوجّه إليه، فإذا كان لنا مريض عند اليأس من الأطباء نتوجّه فيه إلى الله، فإذا شافاه الله ننسى ربّنا؟

غير أن ذلك لا يعني أن لا نتوجه إلى ربّنا في الأزمات، كما لا يعني أن الله تعالى لا يستجيب لعباده، إذا دعوه فيها، فربّنا أرحم الراحمين على كل حال، وهو وحده الذي يجيب للمضطر إذا دعاه ويكشف السوء.

وفي ما يلي ما يثبت ذلك.

في إحدى المعارك كان على المسلمين فتح قلعة، ولكنّهم حاصروها فترة ولم يفلحوا في فتحها حتّى دبّ اليأس في قلوب المسلمين، ولم يجدوا أملاً غير أن يفتح الله تعالى عليهم بطريقة أو بأخرى. وهكذا فقد توجّهوا في الليالي التالية إلى الله طالبين منه العون..

وبعد أيام رأى قائد المسلمين، وهو جالس مع جنوده ينظر إلى القلعة، رأى كلباً دخل كومة من الزبالة، قريبة من القلعة، وغاب فيها، وفي المساء شاهد الكلب نفسه على جدار القلعة فعرف أن هناك مدخلاً سرّياً إلى القلعة، فأمر جنوده بالبحث عنه، ولكنّهم لم يجدوه، فأمرهم بأن يضعوا مقداراً من الحنطة في كيس ويثقبوه بثقوب صغيرة، ثمّ

يدهنوا الكيس بالشحم ويتركوه عند كومة الزبالة. وفي اليوم التالي جاء الكلب نفسه، وظنّاً منه أن الكيس طعمة له، ولذلك حمله إلى داخل القلعة، وفيما هو يجرّ الكيس كانت حبّات الحنطة تسقط على الطريق، وبهذه الوسيلة استطاع المسلمون معرفة المدخل السرّي للقلعة، فاستخدموه وفتحوا القلعة[1].

إنّ الدعاء إلى الله يستجاب إذا تمّ بشرطين: الأوّل أن لا يكون المطلب مخالفاً لأمر الله، والثاني أن يتم مع الانقطاع إلى الله، واليأس من الناس.

يقول الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربّه شيئاً إلّا أعطاه، فلييأس من الناس كلّهم، ولا يكون له رجاء إلّا عند الله، فإذا علم الله عزّ وجلّ ذلك من قلبه لم يسأل الله شيئاً إلّا أعطاه»[2].

(١) جوامع الحكايات، ص ١٥٧.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ١٤٨.

١٣

أُسكنوا في البلاد التي باركها الله

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾[١].



من يعيش بين العلماء يتعلّم، ولذلك قيل: ابنُ العالم نصف العلم. والعكس بالعكس، فمن يعيش بين الجهّال فإنه سوف يتصرّف مثلهم، ولذلك قيل: ضاع عالم بين جهّال، لأنهم لا يستفيدون من علمه ولا يقدّرونه. كذلك الأمر فيما يرتبط بالأوطان، فهنالك مناطق يباركها الله وينـزل عليها رحمته،

ومن ثمّ فهي تعيش في بحبوحة من النعم. فمن أراد أن ينجح فلابدّ أن ينتقل إلى الأوطان التي تعيش في بركة الله الآن.

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٢٩.

أمّا من يعيش بين المتخلّفين، فلا يستطيع أن يحرز أي تقدّم، كما أن من يعيش في أوطان منكوبة لا يمكنه أن يعيش حياة هنيئة فيها. ولعلّ مردّ ذلك إلى سنّة الله التي عبّر عنها بقوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[1].

لقد كانت الهند في يوم من الأيام هي الأرض التي أعطاها الله بركته، فكانت مركز الحضارة، ثمّ إنتقلت إلى اليونان، ثمّ إلى الشرق الأوسط، ثمّ إلى أوروبا، ثمّ إلى أمريكا، وسوف تنتقل الحضارة من هناك إلى جنوب شرق آسيا مجدداً، والصين تحديداً.

صحيح أنّ ذلك يرتبط بعمل الناس، ولكن في نهاية المطاف فإنّ بركة الله تتوزّع بين الأماكن، فيومٌ هنا ويوم هناك. وإذا كنت تريد أن تحصل على تلك البركة فعليك أن تذهب إلى المكان الذي فيه النموّ الحضاري، حتّى تحرز ما يحرز الناس هناك، وهذا لا يعني أنّ مجرّد تواجدك هناك يجعلك ناجحاً من الناحية الاقتصاديّة وسعيداً من الناحية المعيشيّة، إلّا أنّ وجودك بين أناس ناجحين يجعلك ناجحاً لأنك تتعلّم منهم، ووجودك بين أناس نشطين يدفعك إلى النشاط، وإلّا لتخلّفت عنهم.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.

لقد كانت المعيشة في أربعينيات القرن الماضي صعبة في الخليج، حيث لا بترول ولا وسائل حديثة، بينما كان الجانب الآخر من البحر يحرز التقدّم، ويعيش الناس في أفضل حال من البصرة في العراق إلى آخر قرية في إيران، ثمّ بعد ثلاثة عقود من الزمن إنقلب الحال. فإذا بدول الخليج ـ من الكويت إلى عمان ـ تعيش في بحبوحة من الرفاهية، بينما من البصرة إلى آخر قرية في إيران يواجهون صعوبات معيشيّة، مع أنّ المنطقتين تقعان على ضفتي ممرٍّ بحري واحد في الخليج.

كما رأينا كيف أنّ العراق في يوم من الأيام كان يضرب به المثل في الخيرات في مختلف الجوانب. فمن الناحية الزراعيّة كان العراق هو الذي يصدّر منتوجاته إلى بقيّة البلدان، ومن الناحية العلمية كان العراقيّون يصدّرون المعلّمين والأساتذة والأطباء إلى دول الجوار، ومن حيث الاستقرار والأمن أيضاً كان وضع العراقيّين ممتازاً، لكنّه ما بين غمضة عين وانتباهاتها تغيّرت الأحوال تماماً، فإذا بالعراق بالرغم مما يملك من الثروات الطبيعيّة يعيش العوز والفقر، والإرهاب والتمزّق، والصراع والاحتلال.

إذن، ربّ العالمين يوزّع رحمته بين المدن والأوطان،

كما يوزّعها بين الأمم والشعوب، ومن أراد أن يحصل على حصّته من ذلك فليسكن في الأرض التي باركها الله.

❖

يقول الإمام علي عليه السلام: «ليس بلد بأحق بك من بلد، خير البلاد ما حملك»[1].

---

(١) نهج البلاغة، حكمة رقم ٤٤٢.

١٤

لقمة الحلال

﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾[١].



طريق الحلال مفتوح للجميع، وطريق الحرام مفتوح أيضاً للجميع، والأمر متروك للناس في أن يختاروا أحد الطريقين.

ويُخطأ من يظن أنّ طريق الحرام مفتوح أكثر من طريق الحلال، وأن سلوكه أسهل، بل العكس هو الصحيح،

ترى أين الدجّالون، أليسوا في السجون؟ بينما يعيش التجّار في قصورهم.

إنّ كلّ درهم يكسبه المرء من حرام، يمكن كسبه من الحلال.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٨.

وهذا ما أثبتته القصّة التالية:

روي أنه دخل الإمام عليّ عليه السلام مسجداً وقال لرجل كان هناك: أمسك عليَّ بغلتي، ودخل المسجد، فخلع الرجل لجامها، وذهب به.

فخرج عليّ عليه السلام بعدما أدّى صلاته، وبيده درهمان ليدفعهما الرجل مكافأة له. فوجد البغلة عطلاً بلا لجام، فدفع عليه السلام إلى أحد غلمانه الدرهمين ليشتري بهما لجاماً، فصادف الغلام اللجام المسروق في السوق، وكان الرجل الذي سرقه قد باعه بدرهمين، فأخذه بالدرهمين وعاد إلى مولاه.

فقال عليّ عليه السلام: «إنّ العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر، ولا يزداد على ما قدِّر له»[1].

وفي الحديث أنّ رجلاً دعى وهو في حضور الإمام الصادق عليه السلام، فقال: اللّهمّ ارزقني من طيّب رزقك.

فقال الإمام عليه السلام: هذا طعام الأنبياء، إطلب رزقاً لا يعذّبك الله عليه[2].

---

(١) ميزان الحكمة، الشيخ الري شهري، ج ٤، ص ١٢٣.

(٢) سفينة البحار، الشيخ عباس القمي، ج ١، ص ٥١٨.

وكان من وصايا لقمان لابنه: «الزم القناعة والرضا بما قسم الله، وأن السارق إذا سرق حبسه الله من رزقه، وكان عليه إثمه، ولو صبر لنال ذلك من وجهه»[1].

(١) سفينة البحار، الشيخ عباس القمي، ج ١، ص ٥١٨.

١٥

ليس في الكذب نجاة

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾[١].



لماذا يكذب بعض الناس؟

قد تقول: إنّ ذلك يحدث إمّا لجلب منفعة، أو دفع مضرّة.

ولكن هل الكذب يستطيع أن يفعل ذلك؟

يقول الحديث الشريف: «إيّاك والكذب، فإنّه يسوّد الوجه»[٢].

يذكر المؤرّخون أنّ رجلاً أخبر المنصور الدوانيقي بأن هنالك أموالاً كثيرة لبني أميّة مودعة لدى أحد الأشخاص،

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٥.

(٢) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ٢، ص ١٠٠.

فأمر حاجبه بأن يأتي به، فلمّا مثّل لديه قال له: لقد أخبروني بأن أموالاً كثيرة لبني أميّة مودعة لديك، وعليك أن تأتي بها جميعاً إليّ.

قال الرجل: وهل أنت وارث بني أميّة؟

قال المنصور: لا.

قال الرجل: وهل أنهم أوصوا لك بأرثهم؟

قال المنصور: لا.

قال الرجل: فلماذا تطالبني بأموال بني أميّة؟

قال المنصور: إنّ بني أميّة ظلموا المسلمين، فأخذوا الأموال منهم عنوة، وأنا اليوم خليفة المسلمين، وأمين على أموالهم، ولابدّ أن أردَّها إلى بيت المال.

قال الرجل: لقد كانت لدى بني أميّة أموال من وجوه شتّى، وبعضها كانت من أموالهم الخاصّة، وليس من أموال الناس، فهل يمكن إقامة الدليل على أن ما لديّ هو من أموال العامّة لا من أموالهم الخاصّة؟

ولأنّ المنصور لم يملك شهوداً على أن الأموال المزعومة هي من التي صادرها بنو أميّة من الناس لا من أموالهم الخاصّة، فقد سكت عن الرجل.

فقال له حاجب المنصور: هل لك من حاجة؟

قال الرجل: نعم، لي حاجتان: الأولى ـ أن تأمروا أحداً يوصل رسالة منّي إلى أهلي، فقد تركتهم في خوف شديد.. الثانية ـ أن تأتوا بمن وشىٰ عليَّ، فوالله ليس في يدي من أموال بني أميّة أي شيء، لا من خاصّة أموالهم، ولا من عامّتها.

وأضاف: لم يكن ما قلته لكم إلّا لأنني رأيت أن الإنكار قد لا ينفع، ما دمتم مؤمنين أن لديّ أموالاً من بني أميّة.

فأمر المنصور بإحضار من أخبره بذلك، ولمّا رآه الرجل قال: إنّ هذا غلام لي، سرق منّي ثلاثة آلاف دينار وهرب.

فأمره المنصور أن يقول الحقيقة، فشعر الغلام بالخجل والخوف، فاعترف بكذبه، وقال: إنّ صاحبي صادق فيما يقول، فقد كذبتُ عليه لأتخلّص منه.

ورقّ له المنصور، فطلب من الرجل أن يعفو عنه، فقال الرجل: قد فعلت، وأعطاه ثلاثة آلاف دينار أخرى.



يقول الحديث الشريف: «إجتنبوا الكذب، وإن رأيتم فيه النجاة فإنّ فيه الهلكة»[1].

ويقول آخر: «أقلّ الناس مروءة من كان كاذباً»[2].

وفي ثالث: «إنّ العاقل لا يكذب وإن كان فيه هواه»[3].

---

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ٩، ص ٨٨.
(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٧٣.
(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ١٩.

١٦

لا تهتم بما يقال ضدّك

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[1].



إذا كان الكلام الذي يقال ضدّك كذباً فلا تهتم به، لأنّ حبل الكذب قصير، وسرعان ما ينقطع ويسقط، وإذا كان صدقاً فإسع لتغيير ما أنت عليه.

وتعلّم من الرجال الكبار الذين لم يكونوا يهتمّون بما يقال عنهم، لأنّهم لم يكونوا يبحثون عن الشهرة، بل كانوا يبحثون عن الحقيقة، ولم يهمهم يوماً إلّا مبادئهم التي نادوا بها، لا سمعتهم التي كان الأشرار يحاولون لوثها.

---

(١) سورة النور، الآية: ١١.

لقد قال الإمام عليّ عليه السلام لأصحابه يوماً: «أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم، مندحق البطن، يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه ولن تقتلوه. ألا وإنه سيأمركم بسبّي والبراءة منّي؛ فأما السب فسبّوني، فإنه لي زكاة ولكم نجاة. وأما البراءة فلا تتبرأوا منّي، فإني ولدت على الفطرة، وسبقت إلى الإيمان والهجرة»[١].

ومع أنهم سبّوه، وشتموه، ومنعوا الحديث عنه، إلّا أن فضائله ومناقبه ملئت الخافقين، ولم يزده سبّهم إلّا علوّاً، ولا لعنهم إلّا سموّاً، ولا منع الحديث عنه إلّا مزيداً من الفضائل.

فكأنهم بالسبّ، مدحوه.

وباللعن، عظّموه.

---

(١) نهج البلاغة، خطبة رقم ٥٧.

١٧

التوحيد عقلاً وقلباً

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾(١).



قال لي أحدهم: ماذا يعني توحيد الله تعالى؟

قلت: إنّه يعني أمرين:

الأوّل ـ يرتبط بالعقل، بأن لا تؤمن بغيره ربّاً، وأن لا تشرك به شيئاً.

الثاني ـ يرتبط بالقلب، بأن لا ترجو، ولا تحبّ غيره، ولا تخاف إلّا منه.

وهذا ما قاله كلّ من العبّاس بن عليّ عليه السلام، وزينب أخته لأبيهما، وهما طفلان صغيران.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٣.

فقد أجلس الإمام عليّ عليه السلام العبّاس، وهو طفل صغير، فقال له: بنيّ، قل واحد.

فقال العبّاس: واحد.

فقال له الإمام: قل إثنين، فامتنع العبّاس عليه السلام عن ذلك.

فقال له الإمام: لِمَ لا تقول إثنين؟

فقال العبّاس عليه السلام: إني أستحي أن أقول إثنين بلسان قلت به واحد.

كان الإمام من قبل قد أجلس زينب عليها السلام، عندما كانت طفلة إلى جنبه، فقالت لأبيها: يا أبتاه، هل تحبّنا؟

فقال الإمام عليه السلام: نعم، إنّ أولادنا أكبادنا.

فقالت زينب عليها السلام: وهل تحبّ الله؟

قال الإمام عليه السلام: نعم، والذين آمنوا أشدّ حبّاً له.

قالت زينب عليها السلام: وهل يجتمع حبّان في قلب واحد؟

قال الإمام عليه السلام: لا.

فقالت زينب عليها السلام: إذن تحبّ الله مخلصاً، وتحبّنا شفقة[1].

---

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ٢، ص ٦٣٥.

فالعبّاس عليه السلام أوضح التوحيد العقلي الذي هو ضدّ الشرك بالله، واتخاذ الأرباب من دونه.

أمّا زينب عليها السلام فقد بيّنت التوحيد القلبي الذي يمنع حبّ من لا يحبّ الله ولا يحبّه الله..

(١٨)

لماذا التكبّر؟

﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[(١)].



ربّنا وحده الجبّار المتكبّر، ومن حقّه أن يكون كذلك.

أمّا الناس فهم مجرّد عبيد ضعفاء، فعلى أي شيء يحق لهم أن يتكبّروا؟

أبعجزهم واستكانتهم، وحاجاتهم؟

أم بماذا؟

لقد جاء في الأخبار أنه «رأى رجل صالح المهلب بن أبي صفرة، وكان والياً على خراسان من قِبل عبد الملك بن مروان، وقد لبس جبّة خز، وهو يمشي متبختراً في مشيته. فقال له الرجل الصالح: يا عبد الله! هذه مشية يبغضها الله ورسوله.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٠.

فقال له المهلب: ألا تعرفني؟

قال الرجل: بلى أعرفك، فأنت أوّلك نطفة قذرة، وآخرك جيفة مذرة، وأنت بين ذلك تحمل العذرة..

فمضى المهلب وترك مشيته تلك»[1].

ثمّ إنّ التكبّر نوع من أنواع الإلحاد، يقول الراوي: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن أدنى الإلحاد؟

فقال عليه السلام: إنّ الكبر أدناه[2].

لقد كان من وصايا لقمان لابنه قوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[3].

وروي أن المنصور الدوانيقي كان جالساً في قصره إذ دخلت عليه ذبابة وبدأت تؤذيه، ولم يستطع دفعها عن نفسه، فدخل عليه في تلك الحالة مقاتل بن سليمان.

فبادره المنصور قائلاً: لِمَ خلق الله الذباب؟

فقال له مقاتل: خلق الله الذباب ليذل به المتكبّرين والجبابرة[4].

---

(١) مجموعة ورام، ج ١، ص ١٩٩.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٣٠٩.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٨.

(٤) حياة الحيوان، ج ١، ص ٢٥٥.

١٩

مواجهة السباب والشتائم

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[١].



إذا سبّك أحد، فأنت بين خيارات ثلاث:

فإمّا أن تردّ سبّه، بسبّ.

أو أن تتحمّل سبّه، وتسكت.

أو أن تبين له الحقيقة، من دون أن تسبّه.

والخيار الأوّل ليس فيه أي امتياز، فكلّ أولاد الشارع يفعلونه، فردّ الشتيمة بمثلها عمل غرائزي، وليس عقليّاً.

والخيار الثاني ممتاز، فهذا يكشف عن تمتّع صاحبه بصفة الحلم، وهي من صفات الربّ تعالى.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٨.

أمّا الخيار الثالث فهو الأفضل على الإطلاق، لأن فيه بالإضافة إلى التحمّل، إرشاد الذي يسبّ، وربما يؤدّي إلى هدايته.

وهذا ما فعله الإمام الباقر عليه السلام حينما قال له رجل نصراني: أنت بقر.

كان باستطاعة الإمام أن يردّه بقوله: البقر أنت، وكان باستطاعته أن يسكت، ويذهب لدربه. لكنّه أجاب بتوضيح الحقيقة فقال: أنا باقر.

قال الرجل: أنت ابن الطباخة.

وهنا أيضاً كان الإمام بين تلك الخيارات الثلاث، لكنه إختار أن يقول له: ذاك حرفتها.

قال الرجل: أنت ابن المرأة السوداء الزنجيّة البذيئة.

وهنا إستخدم الإمام عليه السلام ذات الأسلوب، فقال:

- إن كنت صدقت غفر الله لها، وإن كنت كذبت غفر الله لك.

فأسلم النصراني[1].

وهكذا فإنه مع تحمّل الإمام، وردّ السيّئة بالحسنة، والاستغفار للرجل وتوضيح الحقيقة، لم يتمالك هذا الأخير إلّا أن يعلن إسلامه.

---

(1) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب، ج ٣، ص ٣٣٧.

٢٠

إفعل شيئاً

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].



لا تكن ممن ينتظر أن يقوم غيره بمسؤولياته، بينما يعفي نفسه من واجباته.

واعلم أنّك سوف تكون بالمستوى المطلوب، إذا قرّرت أن تكون فعلاً بالمستوى المطلوب.

فالإنسان إبن قراره.

والمرء ـ كما يقول الحديث ـ حيث وضع نفسه برياضته، فإن نزهها تنزهت، وإن دنّسها تدنّست[2].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص ٥٧.

هذا ما تعلّمته في بدايات شبابي عندما تعرّض العراق لمحنة عصيبة في عام ١٩٧٠ وما تلته من الأعوام.

فقد تمّ إعتقال جميع الشخصيّات الفاعلة في مدينة كربلاء، حيث كنت هناك، بمن فيهم مجموعة من أقربائي، وكان أبي وأخي الأكبر ممن تلاحقهم السلطات، مع عشرات غيرهم.

كان عمري إذ ذاك نيفاً وعشرين، وكنت أصغر من أن أكون ملاحقاً، ومع ذلك فإنّ الخطر بالنسبة لي أيضاً كان قائماً.

وعلى كلّ حال فإنّ المطلوبين إختفوا، والمعتقلين ضائعوا في السجون، وخلت مدينة كربلاء من رجالها.

هممت أنا وصديق لي، أن نعمل من أجل إطلاق سراح المعتقلين، والتوقّف عن تهديد الملاحقين، وما توصّلنا إليه هو أن نذهب إلى بعض الشخصيّات الفاعلة في المدن الأخرى مثل النجف، وبغداد، لنطالبهم بأن يقوموا بما يستطيعون في هذا المجال.

كنت على موعد صباحاً مع صديقي في بيته، وبحسب التوقيت المتفق عليه ذهبت إليه، فأدخلني الدار وذهب ليتهيّأ للخروج.

في تلك الدقائق الفاصلة، وجدت على الطاولة كتاب نهج البلاغة للإمام عليّ عليه السلام، ففتحته، فوقع نظري على هذه الحكمة من الباب الثالث للكتاب: «ولا يقولن أحدكم إن أحداً أولى بفعل الخير منّي، فيكون والله كذلك»[(١)].

شعرت كأنّ الإمام يتحدّث إليّ شخصيّاً، لأنّي أريد الذهاب إلى جماعة أعتبرهم أولى بفعل الخير منّي.

ترى، لماذا لا أقوم أنا بما أريد أن أطالب الآخرين بالقيام به؟

وما الذي يميّز هؤلاء عنّي، الّا اللّهم فارق العمر؟

أخذت مثل هذه الأفكار تهجم عليَّ، ولمّا جاء صاحبي، وقد تهيّأ للخروج، كنت قد إتخذت قراري بأن أقوم أنا بما أراه واجباً عليَّ، وأن أبدأ بذلك أوّلاً، فقلت لصاحبي: لن نذهب إلى من قرّرنا الذهاب إليه.

قال: لماذا؟

قلت: لقد أمرني الإمام عليّ عليه السلام أن أقوم أنا بما نريد مطالبة الآخرين به.

(١) نهج البلاغة، حكمة رقم ٤٢٢.

قال: هل جاءك الإمام عليه السلام في المنام؟

قلت: بل جاءني في اليقظة، فهذا كتابه، وأنا ماض فيما يجب أن أقوم به.

وكانت تلك بداية دخولي في معترك الصراع من أجل العدالة، ضدّ السلطات الظالمة، وبداية عملي الثقافي، والاجتماعي، والسياسي.



الرفقة في السفر

﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].



تظهر حقيقة الأشخاص في الأسفار، ففي السفر تجد أصنافاً من الناس فهناك من يلقي ثقله على رفقته، وهناك على العكس من يخدمهم، والحدّ الوسط أن يتعاون الرفقة فيما بينهم، لا لهم ولا عليهم.

فالأشرار يلقون أثقالهم على غيرهم.

والصالحون يتعاونون فيما بينهم، ويساعدون غيرهم.

أمّا الأولياء فهم يخدمون رفقاء سفرهم، وهذا ما كان يفعله الإمام زين العابدين عليه السلام.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

فقد ورد في الحديث: «كان عليّ بن الحسين عليه السلام لا يسافر إلّا مع رفقة لا يعرفونه، ويشترط عليهم أن يكون من خدّام الرفقة فيما يحتاجون إليه.. فسافر مرّة مع قوم، فرآه رجل فعرفه، فقال لهم: أتدرون من هذا؟

قالوا: لا.

قال: هذا عليّ بن الحسين عليه السلام.

فوثبوا إليه، فقبّلوا يديه ورجليه وقالوا: يابن رسول الله! أردت أن تصلينا نار جهنّم؟ لو بدرت إليك منّا يد أو لسان أما كنّا قد هلكنا آخر الدهر، فما الذي حملك على هذا؟

فقال الإمام عليه السلام: إنّي كنت سافرت مرّة مع قوم يعرفونني، فأعطوني برسول الله (أي لقرابتي من رسول الله) ما لا أستحق، فأخاف أن تعطوني مثل ذلك، فصار كتمان أمري أحبّ إليّ»[١].

---

(١) وسائل الشيعة، الشيخ الحر العاملي، ج ١١، ص ٤٣٠.



التخصّص

﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِى عِلۡمٍ عَلِيمٌ﴾[1].



التخصّص مطلوب لتطوير الحياة، وتطوير العلوم، وهو أمر ممتاز، لأنّ فيه التركيز على شيء واحد، وصبّ كلّ الاهتمام عليه، ولذلك لا يمكن لأحد أن يختار إلّا موضوعاً واحداً يتخصّص فيه.

لقد ولّى ذلك الزمان الذي كان يقال إنّ فلاناً خبير في كلّ شيء، ويعرف كلّ المهارات، ويكتب في كلّ العلوم.

لقد قيل للشيخ البهائي، وهو من مشاهير العلماء:

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٧٦.

ـ في المنافسة العلمية التي كانت لك مع الآخرين هل غلبك أحد؟

قال ـ : غلبتُ كلّ ذي فنون، وغلبني كلّ ذي فن واحد.

فصاحب الفن الواحد متخصّص في فنّه، فهو يغلب صاحب الفنون المتعدّدة.

ويذكر أيضاً أن متدرّباً في فنون الفروسيّة قال لمدرّبه: أريد أن أكون محارباً كبيراً، ولذلك أعتقد أن عليَّ أن أتخصّص في الجودو، والكاراتيه، وفن الرماية، وركوب الخيل، والمصارعة، أليس كذلك؟

فقال له أستاذه: لو أن أحداً ذهب للصّيد، ورأى اثنين من الأرانب، وأراد أن يصيدهما معاً فأخذ يتعقّبهما، فلابدّ أن تأتي لحظة ينفصل أحدهما عن الآخر، وعندها لابدّ أن يتوقّف الصيّاد ليقرّر أيهما يتعقّبه، وعندما يتخذ قراره يكون الأرنبان قد هربا منه تماماً، ولو أنه واصل تعقيبه لهما لخسر طاقته.

وأضاف: يا بُنيّ، تخصّص في واحدة مما ذكرت، لتكون أفضل من غيرك.

يقول الإمام علي عليه السلام: «أقصر رأيك على ما يلزمك تسلم، ودع الخوض فيما لا يعنيك تكرم»[١].

وقال عليه السلام أيضاً: «لا تشتغل بما لا يعنيك، ولا تتكلّف فوق ما يكفيك، واجعل كل همّك لما ينجيك»[٢].

(١) غرر الحكم، الشيخ الآمدي، ص ٤٧٧، حديث رقم ١٠٩٣٧.

(٢) المصدر، ص ٤٧٨، حديث رقم ١٠٩٨٠.

٢٣

الجهل بالدين وتبرير المعاصي

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾[١].



من أخطر ما يبتلى به البعض أن يقع في مطب تبرير الذنوب والأخطاء، وتحميل ذلك على النصوص الواردة في الكتاب والسنّة. فمعلوم سلفاً أن ارتكاب الخطايا والذنوب هي نتاج إتباع الهوى والشهوات، غير أنّ البعض يحاول أن يحمّل معاصيه على الآيات والروايات، وفيما يلي قصّة أحدهم:

يقول الإمام الصادق عليه السلام في معنى قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، قال: يقول أرشدنا إلى الصراط المستقيم، أرشدنا للزوم الطريق المؤدّي إلى محبّتك، والمبلغ دينك، والمانع من أن نتبع أهوائنا فنعطب، أو نأخذ بآرائنا فنهلك.

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٤.

ثمّ قال عليه السلام: فإن من إتبع هواه وأعجب برأيه كان كرجل سمعتُ غثاء العامّة تعظّمه وتوصفه، فأحببتُ لقاءه من حيث لا يعرفني، لأنظر مقداره ومحلّه، فرأيته قد أحدق به خلق من غثاء العامّة، فوقفت منتبذاً عنهم، متغشّياً بلثام أنظر إليه وإليهم، فما زال يراوغهم حتّى خالف طريقهم (اختلف طريقه عن طريقهم) وفارقهم، ولم يقر، فتفرّقت العوام عنه لحوائجهم، وتبعته أقتفي أثره، فلم يلبث أن مرّ بخبّاز فتغفله، فأخذ من دكّانه رغيفين مسارقة، فتعجّبت منه، ثمّ قلت في نفسي: لعلّها معاملة.

ثمّ مرّ بعد ذلك بصاحب رمّان، (بائع رمّان)، فما زال به حتّى تغفله، فأخذ من عنده رمّانتين مسارقة، فتعجّبت منه، ثمّ قلت في نفسي: لعلّها معاملة، ثمّ أقول: وما حاجته إذن إلى المسارقة؟

ثمّ لم أزل أتبعه حتّى مرّ بمريض فوضع الرغيفين والرمّانتين بين يديه ومضى، وتبعته حتّى إستقرّ في بقعة من الصحراء، فقلت له: يا عبد الله، لقد سمعت بك وأحببت لقاءك، فلقيتك، ولكنّي رأيت منك ما شغل قلبي، وإني سائلك عنه ليزول به شغل قلبي.

قال: ما هو؟

قلت: رأيتك مررت بخبّاز وسرقت منه رغيفين، ثم بصاحب الرمان وسرقت منه رمانتين!

قال: فقال لي: قبل كل شيء حدّثني مَن أنت؟

قلت: رجل من ولد آدم عليه السلام، من أمّة محمد صلّى الله عليه وآله.

قال: حدّثني مَن أنت؟

قلت: رجل من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: أين بلدك؟

قلت: المدينة.

قال: لعلّك جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم؟

قلت: بلى.

فقال: فما ينفعك شرف أصلك، مع جهلك بما شُرّفت به، وتركك علم جدّك وأبيك، لئلّا تنكر ما يجب أن يُحمد ويُمدح عليه فاعله؟

قلت: وما هو؟

قال: القرآن كتاب الله.

قلت: وما الذي جهلت منه؟

قال: يقول الله ﷻ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾، وإنّي لما سرقت الرغيفين كانت سيّئتين، ولمّا سرقت الرمّانتين كانت سيّئتين، فهذه أربع سيّئات، فلمّا تصدّقت بكلّ منهما كان لي أربعون حسنة، فانتقص من أربعين حسنة أربع حسنات بأربع سيّئات، وبقي لي ستة وثلاثون حسنة.

قلت: ثكلتك أمّك، أنت الجاهل بكتاب الله، أما سمعت أنه ﷻ يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾؟ إنك لمّا سرقت رغيفين كانت سيّئتين، ولمّا سرقت رمّانتين كانت أيضاً سيّئتين، ولمّا دفعتهما إلى غير صاحبيهما بغير أمر صاحبيهما كنت إنما أضفت أربع سيّئات إلى أربع سيّئات، ولم تضف أربعين حسنة إلى أربع سيّئات.

فجعل يلاحظني، فانصرفت وتركته.

ثمّ يقول الإمام عليه السلام: بمثل هذا التأويل القبيح المستكره يَضلّون ويُضلّون[1].

---

(١) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص ٣٥.

٢٤

ثمار الأشجار أم جذورها

﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[١].



أنت لا تهتم بالشجرة إلّا من أجل ثمارها، وليس من أجل جذورها.

وهكذا مع الناس، فلا يجوز التعامل معهم بحسب أرومتهم، وتاريخهم، وإنما بحسب أخلاقهم وعلاقاتهم، وما هم عليه الآن، وليس ما كان عليه آبائهم وأجدادهم.

أوَ لو كان آبائهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون؟

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٩.

لقد جاء في الشعر المنسوب إلى الإمام علي عليه السلام قوله:

كن ابن مَن شئتَ واكتسب ادبا
يغنيك محموده عن النسب
فليس يغني الحسيب نسبته
بلا لسان له ولا أدب
إنّ الفتى من يقول: ها أنذا
ليس الفتى من يقول: كان أبي[1]

إنّ الاهتمام بالجذور إنما هو من أجل تحسين الثمار، وكذلك الاهتمام بتاريخ الأفراد إنما هو لمعرفة واقعهم الآن والا ما قيمة أصل لا فرع له؟.

---

(١) ديوان الإمام علي عليه السلام ص ٦٨ ـ ٦٩.

٢٥

الحلم والعفو

﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].



هنالك صفتان أخلاقيّتان مهمّتان من صفات الصالحين، وهما:

الأوّل ـ أن لا يغضب المرء.

والثاني ـ أن يحلم ويعفو.

فمجرّد أن لا يغضب لا يكفي، بل المطلوب أن يكون حليماً وعفواً.

يقول النبيّ ﷺ: **«من عفا عن مظلمة، أبدله الله بها عزّاً في الدنيا والآخرة»**[٢].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

(٢) بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، ج ٧٤، ص ١٢١.

وعلى هذا كان أولياء الله والصالحون من عباده.. فقد روي أنه كانت لعليّ بن الحسين عليه السلام جارية، فقامت تسكب الماء على يده، فسقط الإبريق من يدها، فشجّه عليه السلام.

فرفع الإمام رأسه إليها، فقالت الجارية: إنّ الله تعالى يقول: والكاظمين الغيظ.

فقال الإمام عليه السلام: كظمت غيظي.

قالت: والعافين عن الناس.

قال الإمام عليه السلام: عفوت عنكِ.

قالت: والله يحبّ المحسنين.

قال الإمام عليه السلام: اذهبي فأنتِ حرّة لوجه الله[1].

وروي أيضاً أنّ رجلاً سبّ عليّ بن الحسين عليه السلام، فرمى الإمام عليه السلام إليه خميصة (عبائة سوداء) كانت عليه، وأمر له بألف درهم.

يقول من حضر الحادثة: لقد جمع الإمام في عمله هذا خمس خصال: الحلم، وإسقاط الأذى، وتخليص الرجل مما يبعده عن الله، وحمله على الندم والتوبة، ورجوعه إلى المدح بعد الذّم، وإشترى جميع ذلك بيسير من مال الدنيا[2].

---

(١) مشكاة الأنوار، الشيخ علي الطبرسي، ص ٣١٣.

(٢) مجموعة ورام، ج ١، ص ١٢٥.



اختيار الصديق العاقل

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[(١)].



كثير هم أولئك الذين يختارون أصدقائهم عن طريق الصدفة، في الوقت الذي يجب أن يختار المرء أصدقائه كما يختار أكثر الأشياء قيمة في الحياة، أي بعد التدقيق والتمحيص، وبحسب المواصفات المطلوبة، لأنّ تأثير الأصدقاء، خيراً أم شراً، ليس على دنيا الإنسان فحسب، وإنما على آخرته أيضاً.

من هنا فإنّ من وصايا الأنبياء والأوصياء إختيار الصديق العاقل، والابتعاد عن أصدقاء السوء.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «الإخوان ثلاثة، فواحد

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٦٧.

كالغذاء الذي يُحتاج إليه كلّ وقت فهو العاقل، والثاني في معنى الداء وهو الأحمق، والثالث في معنى الدواء وهو اللبيب»[1].

إنّ بعض الأصدقاء ينفعون الإنسان إلى درجة كبيرة بحيث إن وصف «العاقل» قليل بالنسبة إليهم، فهم أولوا الألباب، لأن لهم العقل والتدبير والمعرفة معاً.

ومثل هؤلاء لهم دور خطير في الظروف الحرجة فكأنهم دواء للداء، وعلاج للأمراض، وحلّ للمشاكل.

حقّاً من كان له صديق لبيب فلربّما ينقذ حياته في الدنيا وينقذه من النار في الآخرة.

لقد حدث في التاريخ أن وزيراً للمعتصم العباسي واسمه «فضل بن مروان» دعا الخليفة إلى داره، ودعا معه الكثير من رجال الدولة، وهيأ لتلك الضيافة وسائل لم يكن الخليفة نفسه يملك مثلها، من ظروف ذهبيّة وفضّية وستائر جميلة، بالإضافة إلى أنواع الأطعمة والأشربة والفواكه مما أثار حفيظة الخليفة، وتملّكه الحسد عليه، فما أن إستقرّ به

(١) بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، ج ٧٥، ص ٢٣٨.

المجلس حتى تظاهر بأنه يعاني من أوجاع في بطنه وغادر المجلس من دون أن يأكل شيئاً.

وعرف الوزير أنّ المعتصم خرج غاضباً، وأن ذلك المجلس ربّما يؤدّي إلى أن يفقد مكانته لدى الخليفة، فاتصل بصديق له اسمه «إبراهيم الموصلي»، وكان رجلاً لبيباً، وأخبره بما حدث له مع الخليفة، لعلّه يخلّصه من ورطته..

فطلب منه إبراهيم أن يذهب مع الخليفة، ويلازمه، إلى أن تصل إليه رسالة منه، وقال له: عندما تصل رسالتي إليك ابدأ بقراءتها أمام الخليفة، فإذا سألك ما فيها، فسلّمها له ليقرأها هو الآخر.

وعمل الوزير بما أمره به رفيقه، وذهب إلى الخليفة وقد وصلت الرسالة في الوقت المناسب، فقرأها الوزير، وكان إبراهيم قد كتب له بأن أصحاب الظروف الذهبيّة والفضّية والستائر والفرش قد أتوا إلى دارك يطلبون بضائعهم التي إستعرتها منهم، فهل نعيدها لهم؟

وكما تنبّأ إبراهيم الموصلي، فقد سأل المعتصم عن الرسالة المستعجلة تلك، فقرأ الوزير الرسالة له، ولمّا عرف الخليفة أن ما شاهده في بيت الوزير لم تكن ملكاً له، زال

حسده، وعادت علاقاته إلى سابق عهدها، وهكذا أنقذه صديقه من خطر حقيقي.

❖

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «لا عليك أن تصحب ذا العقل، وإن لم تحمد كرمه، ولكن إنتفع بعقله»[١].

---

(١) وسائل الشيعة، الشيخ الحر العاملي، ج ٣، ص ٢٠٣.



المشكلة تساوي فرصة

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾[1].



إذا سقطْتَ على الأرض، ففتّش المكان الذي سقطت فيه، فلعلّ هناك قطعة نقديّة تنتظر من يلتقطها.

هذا المثل يعني أن هنالك دائماً فرصة مختبئة في كل مشكلة. وأنّ باستطاعة كل فرد أن يحوّل مشاكله إلى فرص.

ألا ترى كيف أن الأطباء والمحققّين يكتشفون ـ بسبب

---

(١) سورة القصص، الآيتان: ٢٩ ـ ٣٠.

الأمراض - حقائق جديدة، وأدوية جديدة، وطرق جديدة للوقاية منها؟

وكيف أن المشاكل الاقتصادية، والاجتماعية تؤدّي إلى اكتشافات مهمّة؟

أساساً إنّ تاريخ الاكتشافات يبدأ مع تاريخ المشاكل.

كما أن تاريخ نجاح الأفراد يبدأ من تاريخ فشلهم.

وحتّى حالات مثل الضعف والمرض، يمكن تحويلها إلى فرص حقيقية. فكبار السّن عندهم فرصهم الخاصّة بهم، كما أن لهم ملذّاتهم الخاصّة، ويمكنهم الاستفادة من ظروفهم لكسب نجاحاتهم الخاصّة أيضاً.

لقد قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حينما أودع السجن: «اللّهمّ إنك تعلم إني كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك، اللّهمّ وقد فعلت، فلك الحمد»[1].

ويذكر في الأساطير الهنديّة أنّ رجلاً كان يحمل الماء كلّ يوم من بئر بعيد إلى بيته في القرية، وكان يملأ الماء في دلوين معلقين بطرفي خشبة يضعها على عاتقه. وكان في

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ٢، ص ٢٤.

أحد الدلوين بعض الثقوب، ولذلك فهو عندما كان يصل إلى بيته كان نصف الماء قد أريق منه على الأرض.

وخلال سنتين كاملتين كان هذا الهندي يقوم بعمله هذا.

وكان الدلو الصحيح يفتخر على الدلو المثقوب بأنه يوصل ماءً أكثر إلى بيت الرجل، بينما كان الدلو المثقوب يشعر بالخجل من تقصيره في هذا المجال.

وذات يوم قرّر الدلو المثقوب أن يتحدّث مع صاحبه ويعتذر إليه، فلمّا همّ الرجل بأن يملأه بالماء قال له:

ـ أريد أن أعتذر إليك، لأنّك لا تستطيع أن توصل إلى بيتك إلّا نصف ما تملأه فيَّ، ويبقى أهلك عطاشاً بمقدار النصف.

فتبسّم الرجل من كلام الدلو وقال له: عند العودة إلى البيت أنظر إلى الجانب الذي أنت فيه، وأخبرني بما تراه على الأرض.

فلمّا نظر الدلو رأى أنّ هذا الجانب من الطريق مليء بالزرع والورد والخضار، أمّا الجانب الثاني فكان يباباً. فقال الرجل للدلو: كنت أعرف أنك دلو قديم، وأن فيك

نتيجة الاستخدام المتواصل بعض الثقوب. فقرّرت أن أحوّل هذه المشكلة إلى فرصة، فزرعت بذور الورد، والخضار، وبعض النباتات على هذا الجانب من الطريق. ولقد حصلت بذلك على الكثير من حاجتي من الحبوب والخضار، وأطعمت بها أهلي، كما حصلت على الكثير من الورود وزيّنت بها بيتي، ولولا أن فيك بعض الثقوب لما إستطعت أن أعمل مثل ذلك.



يقول الامام علي بن أبي طالب عليه السلام: «كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو، فإن موسى بن عمران عليه السلام خرج يقتبس لأهله ناراً، فكلّمه الله عز وجل ورجع نبيّاً مرسلاً.. وخرجت ملكة سبأ فأسلمت مع سليمان عليه السلام، وخرج سحرة فرعون يطلبون العزّ لفرعون، فرجعوا مؤمنين»[1].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٥، ص ٨٣.

٢٨

مهما كانت الحالة حرجة، فلا تترك المحاولة

﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].



في الحالات الحرجة، لا تقف مكتوف اليدين، وكأنك تنتظر مصيرك.

بل حاول الخلاص، ولو بحركة بسيطة، فلعل القدر قد كتب لك النجاة.

هذا ما فعلتُه أنا في مطار إحدى الدول الخاضعة للطاغوت، فقد كنت أحمل معي كتاباً لو اكتشفوه لوقعتُ في داهية، ولولا محاولة بسيطة لوقعت الواقعة.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

فبعد الجوازات، صحبني أحد الموظّفين مع حقيبتي لإدخالي إلى غرفة للتفتيش. وتبيّن أن هناك شخصاً آخر يخضع لذلك.

فقال الموظف: إنتظر هنا. ووقف إلى جانبي ينتظر هو الآخر.

شعرت للحظات أن كلّ شيء قد إنتهى، فكيف يمكنني التخلّص منهم؟

هنا قرّرت أن أقوم بحركة بسيطة، وهي أن أحاول الخروج من المطار. فقلت لنفسي: لماذا لا أحاول شيئاً؟

فأخذتُ حقيبتي، وتحرّكت باتجاه باب الخروج، وكنت أتوقّع أن يمنعني الموظّف، لكنّه إنشغل عنّي، ولم يفعل شيئاً.

وهكذا خرجت من المطار سالماً، ولم يحدث شيء.

صحيح أنّ الله تعالى هو الذي أنقذني، إلّا أن ربّ العالمين لا ينوب في العمل عن عبده، وإنما يؤيّده إذا عمل.

فمن العبد الحركة ومن الله البركة، كما يقول المثل المعروف.

يقول الشاعر:

ألا أيّها الشاكي الذي قالَ مفُصحاً
لقد كاد فرطُ اليأس أن يُتلِف المُهَجْ

رويدَك لا تيأسْ مِن اللهِ واصطَبِرْ
عسى أن يوافينا على غفلةٍ فَرَجْ[1].

ويقول الإمام علي عليه السلام: «لا تيأس من الزمان إذا منع، ولا تثق به إذا أعطى، وكن منه على أعظم الحذر»[2].

---

(١) الفرج بعد الشدة، القاضي التنوخي، ج ٢، ص ٤٦٥.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص ٥٢٣.

٢٩

طلب الغرائب

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1].



﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾[2].



---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٨.

(٢) سورة الإسراء، الآيات: ٩٠ ـ ٩٣.

بعض الناس لا ترضيهم الأمور المألوفة، ويبحثون دائماً عن العجائب والغرائب.

وينسبون أحياناً أموراً خارقة لأشخاص عاديين جدّاً، ثمّ يرتبطون بهم على أساس أنهم أصحاب المعاجز.

أتذكّر أنني كنت فترة عشر سنوات في بلد خليجي، أمارس دوري كرجل دين في هداية الناس وتثقيفهم.

ثمّ جاء رجل دين آخر إلى ذلك البلد، وأراده البعض منافساً لي، فأخذوا ينسبون إليه الخوارق. منها مثلاً أنه لا يحتاج إلى إطعام أولاده، فإذا جاعوا فإنه يصلّي ركعتين، فيشبع أولاده لمدّة أسبوع.

إنني بالطبع لا أشك في أن الله تعالى خلق من عباده أُناساً «إذا أرادوا أراد» ـ كما يقول الحديث ـ ومنحهم المعجزات والكرامات كالأنبياء والأوصياء، ولكن ذلك أوّلاً ـ خاص بهم لا يشاركهم في هذا الأمر غيرهم، وثانياً ـ إنّ أولئك، مع ما منحهم الله تعالى من قدرات وطاقات، إلّا أنهم كانوا يعيشون كبشر في هذه الأرض فيجوعون، ويعطشون، ويمرضون ويموتون، وثالثاً ـ إنّ اتّباعنا لهم إنما هو فيما كانوا يتصرّفون فيه كبشر، وليس كأصحاب معاجز، إذ لا يمكننا تقليدهم في معاجزهم.

لقد إعتقد أحدهم أن «أبو سعيد أبو الخير» من رجال الصوفيّة، له معجزات وكرامات، كما كان البعض ينسب إليه ذلك، فجاء إليه شخص وعرض عليه أن يكون خادماً عنده، وقال له: أنت من أولياء الله الكبار.

فقال أبو الخير: وكيف عرفت ذلك؟

قال الرجل: لأنك تستطيع أن تأتي بالخوارق مثل أن تمشي على الماء، وأن تطير في السماء، وأن تقطع الشرق إلى الغرب في لحظة واحدة. ولذلك أريد أن أخدمك إلى نهاية حياتي.

فقال أبو الخير: ليس فيما قلته أية عجائب، فالبطّة تمشي على الماء، والطير يطير في السماء، والشيطان أيضاً يقطع مسافة الشرق إلى الغرب في لحظة.

وأضاف: إنّ من يستحق الخدمة، هو ذلك الرجل الذي يعيش في ظروف صعبة، ويدافع عن معتقداته، أو عن أهله، ويسعى لإطعامهم بالعمل. فإنّ مثل هذا بحاجة إلى خدماتك وليس من عنده المعجزات والكرامات، لأنه غني عنك.



عن ابن المغيرة قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: «إتقوا

الله ولا يخدعنكم إنسان، ولا يكذبنكم إنسان، فإنما ديني دين واحد، دين آدم الذي ارتضاه الله، وإنما أنا عبد مخلوق، ولا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرّاً إلّا ما شاء الله، وما أشاء إلّا ما شاء الله»[1].

(١) المحاسن، الشيخ أحمد بن محمد البرقي، ج ١، ص ١٤٨.

(٣٠)

انظر ماذا تريد لنفسك؟

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[١].



قبل أن تتخذ موقفاً من أي شخص، أنظر ماذا تحبّ لنفسك لو كنت مكانه، لأن ما تعمله له سوف يعود إليك.

هذه قاعدة تحكم الحياة كلّها، ولا يستثنى منها أحد. فالأعمال تعود إلى أصحابها، وهذا يعني أنّ هنالك حقيقتين:

الأولى ـ إنّ نتائج الأعمال هي على شاكلتها.

والثانية ـ إنها لا تعود إلّا إلى أصحابها.

فنتائج عملك من قماشة ذلك العمل، وما يقوم به

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧.

غيرك لا يأتي إليك، وعملك لا يذهب إلى غيرك، هذا ما قالته جميع الثقافات، ونوّه إليه جميع الأنبياء، وذكّر به جميع الحكماء.

ففي ثقافة جميع الأمم تجد ما يشير إلى هذا المعنى، لأنهم جرّبوا ورأوا، فوضعوا تجربتهم في قالب حكمة أو جملة. فالعرب قالوا: «كما تدين تُدان، وإن تهين تُهان».

وقد قال الإمام عليّ عليه السلام ذات يوم لمن حوله: «إنني ما أحسنت إلى أحد، ولا أسأت إليه»[1].

فتعجّب الحاضرون من كلامه، إذ أنّ للإمام عليه السلام الحقّ على جميع المؤمنين والمؤمنات، فلولا مواقفه ودفاعه عن الرسول صلى الله عليه وآله والرسالة لم يكن هنالك من يذكر الله بخير، كما أنه تعرّض للإساءة في حياته، حتّى أريق دمه الزكي، وقُتل أولاده، فكيف يقول: إنّي ما أحسنت إلى أحد، ولا أساء إليّ أحد؟

فقالوا له: يا أمير المؤمنين، وكيف ذلك؟

قال عليه السلام: لقوله تعالى ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾.

---

(١) تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي، ج ٢، ص ٣٦١.

فانظر ما الذي تريده لنفسك حينما تتعامل مع غيرك، فإذا كان الأنبياء يقولون: «ضع يدك على رأس من شئت وأحبّ له ما تحبّ لنفسك»، فإنني أفسّر كلمتهم بما يلي: ضع يدك على رأس نفسك فافعل لغيرك ما تحبّ لنفسك، لأنّ ما تفعله لغيرك يعود إليك.

وفي ثقافة البشر كلمة تقول: أنت ما تفعله.

ويقولون: كل عملٍ تقدم عليه، وكل قرار تتخذه، وكل تصرف يصدر منك يؤثر تأثيراً مباشراً عليك أنت أولاً وعلى من حولك ثانياً.

فإذا أحسنت إلى الآخرين أحسن إليك الآخرون، وإذا أسأت إلى الآخرين أساء إليك الآخرون. وليس بالضرورة أن من تحسن إليه هو من سوف يحسن إليك، وليس بالضرورة من تسيء إليه هو من يسيء إليك، ولكن الإساءة والإحسان أمران يعودان إلى المرء، سواء من قِبل من حصل على الإحسان أو على الإساءة، أو من قِبل غيره.

ولقد كانت لي تجارب في هذا المجال، وأتذكّر هنا أنني قلت ذات يوم لأحد أولادي: خذ القمامة إلى خارج الدار.

فقال بكل صراحة: لن أفعل.

فتذكّرت أنه قبل ثلاثين عاماً من ذلك اليوم طلب منّي والدي أن آخذ القمامة إلى خارج الدار. فقلت له: لا أفعل.

فقلت لولدي: معك الحقّ، فإنّ ما قلته لي الآن، هو جواب على ما قلته لأبي قبل ثلاثين عاماً.

ترى، كم من أشخاص ظلموا غيرهم، ثمّ ما دارت الأيام إلّا وقد ظُلموا؟

والعكس بالعكس، فكم من رجال أحسنوا إلى غيرهم، فعاد إحسانهم إلى أنفسهم؟

❖

يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في وصيته لابنه الإمام الحسن عليه السلام: «يا بني؛ إجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحبّ لنفسك، واكره له ما تكره لها»[1].

(١) نهج البلاغة، رسالة رقم ٣١.

٣١

رسالة هداية

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[1].



من أخطر ما يمكن أن يحدث للعلماء هو أن يكونوا في خدمة الحكّام الظلمة. ذلك أنّ الظالمين يحتاجون إليهم لكسب الشرعيّة منهم، ولتبرير أعمالهم ومواقفهم وظلمهم وطغيانهم، ولذلك جاء في الحديث: «إذا رأيتم العلماء على أبواب الملوك، بئس العلماء وبئس الملوك. وإذا رأيتم الملوك على أبواب العلماء، فنعم الملوك ونعم العلماء»[2].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٢) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج ٢، ص ١٢٥.

وكم في التاريخ من علماء انبطحوا للملوك والأمراء، فباعوا آخرتهم بدنياهم. ودينهم بمصالحهم. وعلمهم بملذّاتهم.

فالعلم عند هؤلاء كان مجرّد بضاعة، لا رؤية وبصيرة، والبضاعة تباع لمن يشتري بثمن أعلى.. ومَن أقدر على دفع الثمن الأعلى من الحكّام الظلمة الذين يحتكرون كلّ موارد الدولة، ويصادرون حقوق الناس وأموالهم؟

من هنا فإنّ حاجة العلماء إلى النصيحة، والموعظة، والإرشاد، والتنبيه قد يكون أكثر من غيرهم، وهذا ما كان يقوم به الأنبياء والأوصياء.

ومن أمثلة ذلك رسالة الإمام زين العابدين عليه السلام إلى محمّد بن مسلم الزهري، التي هي في الحقيقة رسالة إلى كلّ عالم، أو متعلّم في كلّ زمان ومكان.

فالرجل كان في البداية ضدّ الظلمة من بني أميّة، ويميل إلى أهل البيت عليهم السلام المظلومين، لكن عاقبته انتهت إلى الدخول في بلاط هشام بن عبد الملك بن مروان، الذي أوكل إليه مسؤولية تعليم أولاده، فمال إلى آل مروان وقاطع أهل البيت عليهم السلام، فكتب إليه الإمام زين العابدين عليه السلام الرسالة التالية:

«بسم الله الرحمن الرحيم، كفانا الله وإيّاك من الفتن،

ورحمك من النار، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك، فقد أثقلتك نعم الله بما أصحّ من بدنك، وأطال من عمرك، وقامت عليك حجج الله بما حمّلك من كتابه، وفقّهك فيه من دينه، وعرّفك من سنّة نبيّه محمّد ﷺ.

«فانظر أيّ رجل تكون غداً، إذا وقفت بين يدي الله فسألك عن نعمه عليك: كيف رعيتها؟ ولا تحسبن الله قابلاً منك بالتعذير، ولا راضياً منك بالتقصير»..

«هيهات هيهات، ليس كذلك، (لقد) أخذ الله على العلماء في كتابه، إذ قال: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾».

«واعلم أنّ أدنى ما كتمت، وأخف ما إحتملت أن آنست وحشة الظالم، وسهّلت له طريق الغيّ، بدنوّك منه حين دنوت، وإجابتك له حين دُعيت».

«فما أخوفني بإثمك غداً مع الخونة، وأن تُسأل عمّا أخذت بإعانتك على ظلم الظلمة، إنك أخذت ما ليس لك ممن أعطاك، ودنوت ممن لم يردَّ على أحد حقّاً، ولم تردّ باطلاً حين أدناك، وأحببت من حادّ الله».

«أوَليس بدعائه إيّاك حين دعاك جعلوك قطباً، أداروا بك رحى مظالمهم؟ وسلّماً إلى ضلالهم؟ وداعياً إلى غيّهم؟ وسالكاً سبيلهم»؟

«يُدخلون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهّال إليهم».

«فما أقل ما أعطوك، في قدر ما أخذوا منك»؟

«وما أيسر ما عمّروا لك، بما خرّبوا عليك»؟

«فانظر لنفسك، فإنّه لا ينظر إليها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسؤول، وأنظر كيف شُكْرك لمن غذّاك في نعمة صغيراً وكبيراً».

«ولا تحسب أني أردت توبيخك، وتعنيفك، وتعييرك، لكنّي أردت أن ينعش الله ما قد فات من رأيك، ويرد إليك ما عزب (ضاع) من دينك، وذكرت قول الله في كتابه: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾».

«فأعرض عن كلّ ما أنت فيه، حتّى تلحق بالصالحين الذين دفنوا في أسمالهم، (دفنوا في ثيابهم الرثّة)، لاصقة بطونهم بظهورهم، ليس بينهم وبين الله حجاب، لا تفتنهم الدنيا، ولا يفتنون بها».

«وجاء في آخر الرسالة: «فنحمد الله الذي عافانا مما ابتلاك به، والسّلام»[1].

---

(١) تحف العقول، الشيخ ابن شعبة الحراني، ص ٢٧٤.

٣٢

العُجب مفسدة للأعمال الصالحة

﴿... فَقَالَ لِصَاحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٦ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ٣٧﴾[(١)].



لكلّ شيء آفة من مثله، تفسده وتسلب قيمته، فآفة التفّاح، مثلاً تفسد التفاح وتحوّله من فاكهة تنفع، إلى ما يضرّ ويمرض..

وكما في الأشياء المادّية، كذلك في المعنويّات.. فللعبادات آفاتها التي تحوّلها من طاعة إلى معصية، ومن

---

(١) سورة الكهف، الآيات: ٣٤ ـ ٣٧.

خير إلى شرّ. . وكذلك الأمر مع جميع الأعمال والصفات الحسنة.

فالعجب من أكثر الآفات التي تفسد الأعمال، وقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاث مهلكات: شحٌ مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»[1].

يقول أحد أصحاب الإمام الرضا عليه السلام: بعث إليّ الرضا عليه السلام فجئت إلى الحرباء، فمكثت عامّة الليل معه، ثمّ أتيت بعشاء، ثمّ قال: أفرشوا له. فلمّا أصبت العشاء (تعشّيت) قال لي: أما تريد أن تنام؟

قلت: بلى.

فطرح عليَّ الكساء، ثمّ قال: بيّتك الله في عافية. .

وكنّا على سطح الدار، فلمّا نزل من عندي، قلت في نفسي: قد نِلتُ من هذا الرجل كرامة، ما نالها أحد قطّ.

فإذا بمولى له، قال: أجب مولاي.

فنزلت، فإذا هو مقبل إليّ، فقال: أعطني كفّك، فناولته كفّي، فعصرها، ثمّ قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أتى

---

(١) جامع السعادات، الشيخ النراقي، ج ١، ص ٣٢٥.

صعصعة بن صوحان عائداً له، فلمّا أراد أن يقوم من عنده، قال عليه السلام: يا صعصعة! لا تفتخر بعيادتي إيّاك، وأنظر لنفسك.

فكأنّ الأمر (هذا الإرشاد) قد وصل إليك، ولا يلهينك الأمل، أستودعك الله[1].



يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «من دخله العجب هلك»[2].

(١) قرب الإسناد، الشيخ عبد الله بن جعفر الحميري، ص ١٦٧.
(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٣١٣.

٣٣

عند الامتحان تظهر حقائق الرجال

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1].



في الادّعاء، كلّ الناس يعتبرون أنفسهم صالحين، وفي الحالات العاديّة يتصرّف الكثيرون بشكل صحيح، لأنّ ضمير الإنسان يدعوه إلى العمل الصالح.

ففي الحالات التي لا يتعرّض المرء لطوفان الشهوات، يعمل الضمير بشكل طبيعي، ويعمل صاحبه بحسب وحي الضمير. أمّا بعد هجوم الغرائز والشهوات فالأمر مختلف، وفي هذه الحالة يتعرّض المرء للابتلاء والامتحان الإلهي.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٧.

ومع أنّ الجميع يتعرّضون للابتلاء، لكن البعض ابتلائه يؤدّي به إلى الضلال، ولهذا ورد في الدعاء: «اللّهمّ إنّي أعوذ بك من مضلّات الفتن»[1].

ولعلّ من أشد مضلّات الفتن، فتنة الرئاسة وحبّ السلطان.

يقول الحديث الشريف: «ما ذئبان ضاريان في غنم قد تفرّق رعاؤها بأضرَّ في دين المسلم من الرئاسة»[2].

وهذه الرئاسة هي التي أضلّت عبد الملك بن مروان، فقد كان الرجل، قبل موت أبيه خارج دائرة السلطة، ولذلك كان رقيق القلب، يعطف على الناس، ولم يكن يسب أحداً، أو يقول في أحد سوءًا، وكان في أكثر أوقاته مشغولاً بتلاوة القرآن في المسجد، حتّى سُمّي بحمامة المسجد.

ولكن ما إن مات أبوه مروان بالسّم، وإنتقلت الخلافة إليه، وكان في تلك اللحظات في المسجد يتلو كتاب الله، حتّى أغلق القرآن، ووضعه على الرَّف وقال: هذا فراق بيني وبينك.

---

(١) مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي، ص ٧٦.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٢٩٧.

لقد كان ضميره يعمل بشكل صحيح قبل الرئاسة، لأنه لم يكن قد تعرّض لطوفان شهوات السلطان. فعندما جهّز يزيد جيشاً لدخول مكّة قال عبد الملك: «أعوذ بالله، كيف يجرأ على إرسال الجيش إلى حرم الله»؟

أمّا بعد أن أصبح رئيساً تغيّر وضعه.

ففي أيام خلافته، أرسل جيشاً كبيراً بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي، لغزو مكّة، حيث قتلوا الكثير من الناس في بيت الله، ثمّ قتلوا عبد الله بن الزبير، وقطعوا رأسه، وصلبوا جسمه بعد ذلك.

ولقد قال عبد الملك: «كنت قبل هذا أتجنّب قتل نملة، ولكن عندما أتاني كتاب الحجاج بقتل الناس لم أشعر بأيّ حرج».

ولقد قال له الزهري: «سمعت أنك تشرب الخمر»؟

فقال عبد الملك: «بلى، إني أشرب الخمر، وأشرب من دماء الناس أيضاً».



يقول الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «إن الأمور الواردة عليكم في كل يوم وليلة من مضلّات الفتن، وحوادث

البدع، وسنن الجور، وبوائق الزمان، وهيبة السلطان، ووسوسة الشيطان، ليدرأ القلوب عن تنبهها، وتذهلها عن موجود الهدى، ومعرفة أهل الحق، إلّا قليلاً ممن عصم الله»[1].

---

(١) الأمالي، الشيخ المفيد، ص ٢٠٠.

٣٤

عندما يعظ الحاكمُ الظالمُ واعظَه

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦)﴾[١].



في العادة ينصح العلماءُ الحكّام.

ولكن في دولة الظلمة، ليس العالم بأفضل من الحاكم، فكلاهما على ضلال، وإذا كان أحدهما ينصح الآخر فليس من أجل الهدى والصلاح، وإنما من أجل الدفاع عن نفسه، والتفاخر على الآخرين..

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٧٥ ـ ١٧٦.

وهذا ما حدث في القصّة التالية:

روي أنّ الحارث بن مسكين دخل على المأمون، فسأله المأمون مسألة، فقال له الحارث: أقول فيها كما قال مالك بن أنس، لأبيك هارون.

ثمّ ذكر قوله، فلم يعجب المأمون طريقته في الكلام، ولا بما قال مالك لأبيه، فقال للحارث: لقد تيسّت (أصبحت تيساً) فيها، وتيسّ مالك.

فقال الحارث: فالسامع أيها الأمير من التيسين أتيس.

فتغيّر وجه المأمون غضباً، وقام الحارث وخرج من مجلسه، ثم ندم أشدّ الندم مما قال للخليفة..

فلم يستقرّ في منزله حتّى أتاه رسول المأمون، فأيقن الحارث بالشرّ، فخرج إليه، وقد لبس أكفائه، ودخل على الخليفة، فاحترمه المأمون وقربه، ثمّ أقبل إليه وقال له: يا هذا، إنّ الله تبارك وتعالى قد أمر من هو خير منك بالإناة في القول لمن هو شرّ منّي، فقال لنبيّه موسى بن عمران عليه السلام وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾.

فقال الحارث: أبوء بالذنب، وأستغفر الرّب.

فقال المأمون: عفى الله عنك، إنصرف إذا شئت.

❖

روي عن النبي صلّى الله عليه وآله، أنه قال: «**الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا**».

قيل: يا رسول الله؛ وما دخولهم في الدنيا؟

قال: **إتباع السلطان.. فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم**[1].

(١) بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، ج ٢، ص ١١٠.



التسليم لأمر الله

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[1].



ليس هنالك شيء أفضل من التسليم لأمر الله تعالى، من دون قيد أو شرط أو إعتراض. فالله تعالى لا يضلّ من إسترشده، ولا يخيّب من إستهداه.

عندما كنّا صغاراً كان من أوّل الكلمات التي تعلّمناها تلك الجملة العميقة التي تقول: «أوّل العلم معرفة الجبّار، وآخر العلم تفويض الأمر إليه».

وقد يقول قائل: أتعني أن علينا أن نطيع ونستسلم بعينين مغمّضتين، ولا نسأل، ولا نعترض؟

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٥.

والجواب: نطيع ونستسلم نعم، ولا نعترض نعم، ولكن لا مانع من أن نسأل بشرط أن نفعل ذلك لنعرف وليس نشكّك، ولو لم نعرف نستمر في طاعة ربّنا. فمن أجل زيادة الإيمان لا مانع من أن نسأل. كما فعل إبراهيم الخليل عندما قال لله: ربِّ أرني كيف تحيي الموتى؟

قال: أوَلم تؤمن؟

قال: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾[1].

لقد جاء في أساطير اليهود، أن موسى بن عمران عليه السلام ذهب لمناجاة الله، فأوحى الله إليه التوراة، وطلب منه أن يكتبه، وفيما هو يفعل ذلك أوحى الله إليه أن يضع نجمة فوق بعض الكلمات.

فقال موسى: لماذا أضع هذه النجمة؟

فقال له الله: سيأتي بعد مائة جيل من الآن حاخام يشرح هذه العلامات والإشارات.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

فطلب موسى عليه السلام أن يريه الرجل ليسمع منه شروحه تلك.

فأخذه الله إلى المستقبل، وجاء بعد مائة جيل، فحضر في درس الحاخام، وكان يشرح لتلاميذه التوراة، وأمرهم بوضع نجمة فوق بعض الكلمات.

فقال له أحد تلامذته:

ـ يا مولانا، ما معنى هذه النجمة، ولماذا نضعها فوق بعض الكلمات؟

فقال الحاخام: لا أدري، وأظن أن موسى بن عمران عليه السلام أيضاً لم يكن يدري، ولكن لأن موسى عليه السلام كان نبيّاً عظيماً من أنبياء الله فقد وضع هذه النجمة فوق تلك الكلمات، من غير أن يعرف سبب ذلك، ليعلّمنا أن علينا أن نطيع الله في كلّ شيء حتّى في الأمور التي لا نعرف معناها ومغزاها..

وهنا خجل موسى عليه السلام من ربّه، وطلب منه أن يغفر له.



يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «الإيمان

له أركان أربعة: التوكّل على الله، وتفويض الأمر إلى الله، والرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله ﷻ»[١].

ويقول عليه السلام: «أصل الإيمان حسن التسليم لأمر الله»[٢].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٤٧.

(٢) غرر الحكم، الشيخ الآمدي، ص ٨٧، حديث رقم ١٤٤٤.



الكفاف أم الزيادة؟

﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾[1].



أيّهما نطلب؟ الكفاف أم الزيادة؟

وأيّهما الأفضل للإنسان في هذه الحياة؟ الغنى الفاحش، أم سدّ الحاجة؟

وما هو الميزان الذي به نختار أحد الأمرين؟

والجواب: أن المال وسيلة ليس إلّا.. فإذا أصبح هدفاً تحوّل إلى عبئ ثقيل.

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧٦.

فإذا كان «المال الوفير» هو لصرفه على الصالحات من الأعمال، فلا مانع من طلبه. أمّا إذا كان للترف والإسراف فالكفاف هو المطلوب، ذلك أن الكفاف من المال يجعله في خدمة صاحبه، أمّا الزيادة عن الكفاف فإنه يجعل صاحبه في خدمة المال.

ويروى في هذا المجال أن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام قال: مرّ رسول الله ﷺ براعي إبل، فبعث إليه يستسقيه، فرفض أن يعطيه شيئاً، وقال: أمّا ما في ضروعها فصبوح الحيّ (أي طعام لفطور القبيلة)، وأمّا في آنيتنا فغبوقهم (طعام عشائهم).

فقال رسول الله ﷺ: «**اللّهمّ أكثر ماله وولده**».

ثمّ مرّ ﷺ براعي غنم، فبعث إليه يستسقيه، فحلب الراعي له ما في ضروعها، وزاد على ذلك بأن، صبّ ما في إنائه في أناء رسول الله ﷺ. وبعث إليه ﷺ بشاة وقال: هذا ما عندنا، وإن أحببت أن نزيدك زدناك.

فقال رسول الله ﷺ: «**اللّهمّ أرزقه الكفاف**».

فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله، دعوت للذي ردّك بدعاءٍ عامّتنا نحبّه، ودعوت للذي أسعفك بحاجتك، بدعاءٍ كلّنا نكرهه؟!

فقال رسول الله ﷺ: «**إن ما قلّ وكفى، خير مما كثر وألهى**».

ثمّ قال ﷺ: «**اللّهمّ ارزق محمّداً وآل محمّد الكفاف**»[1].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ١٤١.

٣٧

الموت نعمة أم نقمة؟

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1].



تمّ إسقاط الحكومة في العراق بغزو خارجي، فعمّت البلاد الفوضى، وانتشرت العمليات الإرهابيّة التي حصدت أرواح مئات الألوف من العراقيّين.

علّق أحد الصحفيّين على ذلك قائلاً: يبدو أن عهد الرئيس المخلوع كان نعمة على العراق، بالرغم من أنه قتل الألوف، وكمّم الأفواه، وجرّ ثلاثة حروب على البلاد.

قلت له: ليس الأمر كما تقول، فعهد الرجل كان «نقمة» على العراقيّين، وكذلك سقوطه.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٢.

قال: كيف يكون حكومة الشخص وسقوطه كلاهما نقمة؟

قلت: أنظر، الناس ثلاثة أصناف، صنف تكون حياتهم ومماتهم بلا تأثير يذكر، وبلا معنى، فلا حياتهم مهمّة، ولا مماتهم.

وصنف تكون حياتهم نعمة، ومماتهم نعمة أيضاً.

وصنف تكون حياتهم نقمة ودمار، ومماتهم أيضاً نقمة ودمار.

وصاحبك من الصنف الثالث، فقد كان نقمة على هذا الوطن حيّاً، وكان نقمة أكبر ميتاً، وياليته لم يولد.

قال: ومن هو مثالك للصنف الثاني الذي كانت حياته نعمة، ومماته نعمة؟

قلت: الحسين بن عليّ عليه السلام فهو قبل أن يولد أخبر الله تعالى جدّه النبيّ صلى الله عليه وآله بأنه مقتول.

فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن جبرائيل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: يا محمد؛ إن الله يبشرك بمولود يولد من فاطمة، تقتله أمّتك من بعدك[1].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٤٦٤.

قال: ألا تعتبر مقتله جريمة؟

قلت: بالطبع، فقد قتلوه ظلماً وعدواناً، ولكنّه أحيا بذلك دين جدّه، وأنقذه من التحريف، ومنع الأمّة من الانحراف ولذلك فإن النبي ﷺ حينما سمع نبأ مقتله من جبرائيل، قال ﷺ: «اللهم بارك له في مقتله».



قيمة الإيمان

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[1].



لا يمكن أن نقيّم المعنويّات بالمادّيات، بحيث نبيع مثلاً الشجاعة بمبلغ من المال، أو نعوّض الإيمان بشيء من أمور الدنيا.

ذلك أنّ المعنويّات شأن من شؤون الروح، والمادّيات شأن من شؤون الجسد. وواضح أنّ قيمة الإنسان بروحه، وإلّا فإنّ جسمه ليس له من قيمة كبيرة إلا بمقدار ما يكون خدمة الروح.

روي أنّ شخصاً جاء إلى عليّ بن الحسين عليه السلام برجل

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

وادّعى أنه قاتل أبيه، فاعترف الرجل بالقتل، فأوجب عليه القصاص، وسأله الإمام أن يعفو عنه، ليعظّم الله ثوابه، فكأنّ نفسه لم تطب بالعفو.

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام لوليّ الدم: إن كنت تذكر لهذا الرجل (أي القاتل) عليك فضلاً، فهب له هذه الجناية، وإغفر له هذا الذنب.

قال ولي الدم: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله! له عليَّ حقّ، ولكن لم تبلغ قيمة هذا الحقّ أن أعفو عن قتل والدي.

فقال له الإمام: فماذا تريد؟

قال الوليّ: أريد القصاص، فإن أراد القاتل لحقّه عليَّ أن أصالحه على الدية صالحته وعفوت عنه (أي إنني لا أعفو عنه بالمطلق، بل مستعد أن أصالحه على الحقّ الذي له عليَّ وآخذ منه الدية، لأن حقّه ليس كبيراً عليَّ).

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: فماذا حقّه عليك؟

قال الرجل: يابن رسول الله! لقّنني توحيد الله، ونبوّة محمّد رسول الله، وإمامة عليّ والأئمّة.

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: أفهذا لا يفي بدم أبيك، بلى والله هذا يفي بدماء أهل الأرض.

ثمّ قال الإمام للقاتل: أفتجعل لي ثواب تلقينك له، حتّى أبذل لك الدية، فتنجو بها من القتل؟

قال القاتل: يابن رسول الله ﷺ! أنا محتاج إليها، وأنت مستغن عنها، فإن ذنوبي عظيمة، وذنبي إلى هذا المقتول أيضاً بيني وبينه، لا بيني وبين وليّه.

قال عليّ بن الحسين عليه السلام: فتسليمك للقتل أحبّ إليك، من نزولك عن هذا التلقين؟

قال: بلى يابن رسول الله ﷺ.

فتكلّم الإمام مع وليّ الدم بكلام، فعفى عن الرجل[1].

---

(١) بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، ج ٢، ص ١٣.

٣٩

الإخلاص للإمام والتزام الجماعة

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[١].



سنّة الله في الجماعات البشريّة قائمة على قاعدة الإمام والمأموم؛ أي القيادة والأتباع، فما من جماعة إلّا ولها قيادتها، وما من مؤسّسة إلّا ولها رئيسها، وفيها موظّفون يتبعونه.

والسؤال هو في كلّ من المجالين: الديني والاجتماعي، هو: مَن هو الإمام الذي لابدّ من إتباعه، وما هو واجب الناس تجاهه؟

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧١.

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «ألا وإن لكلّ مأموم إماماً يقتدى به ويستضيء بنور علمه»[1].

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله: **«ثلاث لا يُغلّ عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم»**[2].

والمقصود بكلمة «الإمام» ليس كلّ من يجلس على كرسي الحكم، فليس كلّ حاكم «إماماً» وتجب طاعته، لأنه ليس هذا الموقع في مقابل القيم والمثُل..

يقول الحديث الشريف: «ما الإمام إلّا الحاكم بالقسط، الداين بدين الله، الحابس نفسه على ذات الله»[3].

وكذلك المقصود من «الجماعة»، ليس إعطاء الشرعيّة «للأكثريّة»، حتّى وان كانت على باطل.

يقول الحديث الشريف: «قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: ما جماعة أمّتك؟».

---

(١) ينابيع المودّة، الشيخ سليمان القندوزي، ج ١، ص ٤٣٩.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٤٠٣.

(٣) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب، ج ٣، ص ٢٤٢.

قال ﷺ: «من كان على الحقّ، وإن كانوا عشرة»[1].

وهكذا يتبيّن أنّ الإمامة نظام قِيَمي يقوم على أساس القواعد، والأصول، والقيم التي جاء بها الأنبياء والرّسل، وليس قيمة بديلة عن القيم.

(١) ميزان الحكمة، الشيخ الري شهري، ج ٢، ص ٦٧.

٤٠

الخوف والتوبة

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾[١].



يرتكب البشر مخالفات ومعاصي وجرائم، وربّما يندم بعضهم مما فعل، فهل هناك من وسيلةٍ للتخلّص من آثار ذلك؟

في الحقيقة هناك نوعان من المعاصي:

الأوّل ـ المعصية التي هي بين العبد وربّه، مثل أن يشرب أحدهم الخمر، أو يترك واجباً من واجباته العباديّة.

الثاني ـ المعصية التي تترتّب عليها آثار قانونيّة بالنسبة إلى الآخرين، مثل السرقة ومصادرة حقوق الاخرين.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٩.

وبالنسبة إلى النوع الأوّل فإنّ الندم على الفعل والتصميم على عدم العودة إلى أمثاله، وطلب المغفرة كافية لغسل الذنب. فربّنا تعالى فتح برحمته باب التوبة، وقد قال: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1]. أمّا بالنسبة إلى النوع الثاني فإنّ الله تعالى يطالب مرتكب المعصية بأداء حقوق الآخرين، بالإضافة إلى التوبة.

هذا بالإضافة إلى أنه عندما تكون هنالك توبة نصوح من قِبل مرتكبي المعاصي، فإنّ الله ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾[2].

وهذا ما حدث لأحد العصاة، فقد روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: إن رجلاً ركب البحر بأهله، فكسر بهم، فلم ينج ممن كان في السفينة إلّا امرأة الرجل، فإنها نجت على لوحٍ من ألواح السفينة حتّى ألجأت على جزيرة من جزائر البحر، وكان في تلك الجزيرة رجل يقطع الطريق (قاطع طريق) ولم يدع لله حرمة إلّا انتهكها.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

فلم يعلم إلّا والمرأة قائمة على رأسه، فرفع رأسه إليها، فقال: إنسيّة أم جنيّة؟

فقالت: إنسيّة، فلم يكلّمها كلمة حتّى جلس منها مجلس الرجل من أهله، فلمّا أن همّ بها إضطربت.. فقال لها: ما لكِ تضطربين؟

فقالت: أفرق (أخاف) من هذا.. وأومأت بيدها إلى السماء.

فقال لها: أفصنعتِ من هذا شيئاً؟ (هل ارتكبتي مثل هذه الأمور من قبل).

قالت: لا، وعزّته.

قال الرجل: فأنتِ تخافين منه هذا الخوف، ولم تصنعي من هذا شيئاً، وإنما استكرهكِ استكراهاً، فأنا والله أولى بهذا الخوف، وأحقّ منكِ.

فقام ولم يفعل شيئاً، ورجع إلى أهله، وليست له همّة إلّا التوبة والمراجعة.

فبينما هو يمشي، إذ صادفه راهب يمشي في الطريق، فحميت عليهما الشمس، فقال الراهب للشاب: ادع الله يظلنا بغمامة، فقد حميت علينا الشمس.

فقال الشاب: ما أعلم أن لي عند ربّي حسنة، فأتجاسر على أن أسأله شيئاً.

قال الراهب: فأدعو أنا، وتؤمّن (تقول آمين) أنت؟

قال الشاب: نعم.. فأقبل الراهب يدعو، والشاب يؤمّن، فما كان بأسرع من أن أظلتهما غمامة، فمشيا تحتها مليّاً من النهار، ثمّ تفرّقت الجادّة جادّتين، فأخذ الشاب في واحدة، وأخذ الراهب في واحدة أخرى، فإذا السحابة مع الشاب.

فقال الراهب: أنت خير منّي، لك أُستجيب الدعاء، ولم يُستجب لي، فأخبرني ما قصّتك؟

فأخبره بخبر المرأة، فقال الراهب: غُفر لك ما مضى حيث دخلك الخوف، فانظر كيف تكون فيما تستقبل[١].



يقول الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في دعاء له: «إلهي أنت الذي فتحت لعبادك باباً إلى عفوك سميته التوبة، فقلت: توبوا إلى الله توبة نصوحاً. فما عذر من أغفل دخول الباب بعد فتحه؟

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٦٩.

إلهي إن كان قبح الذنب من عبدك، فليحسن العفو من عندك»[1].

ويقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «من أُعطي التوبة لم يُحرم القبول»[2].

(١) الصحيفة السجادية، الإمام علي بن الحسين عليه السلام، مناجاة التائبين، ص ٤٠٢.

(٢) غرر الحكم، الشيخ الآمدي، ص ١٩٤، حديث رقم ٣٧٨٣.

٤١

لا تغضب

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ
وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[١].



قال رجل للنبي ﷺ: يا رسول الله؛ علّمني.

قال: «**إذهب، ولا تغضب**».

فقال الرجل: قد إكتفيت.

فمضى إلى أهله، فإذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفاً ولبسوا السلاح. فلما رأى ذلك لبس سلاحه، ثم قام معهم، ثم ذكر قول رسول الله ﷺ: «**لا تغضب**». فرمى السلاح، ثم جاء يمشي إلى القوم الذين هم عدوّ قومه، فقال: يا

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٧.

هؤلاء؛ ما كانت لكم من جراحة، أو قتل، أو ضرب ليس فيه أثر، فعليَّ في مالي أنا أوفيكموه.

فقال القوم: فما كان فهو لكم، نحن أولى بذلك منكم.

قال: فاصطلح القوم وذهب الغضب[1].

❖

وقال رجل للنبيّ ﷺ: يا رسول الله؛ علّمني عملاً لا يحال بينه وبين الجنّة.

فقال ﷺ: «**لا تغضب، ولا تسأل شيئاً، وأرض للناس ما ترضى لنفسك**»[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «الغضب مفتاح كلّ شرّ»[3].

ثمّ إنه بمقدار ما أن الغضب مبغوض، فإن الحلم مطلوب، ولذلك فإنّ من صفات المؤمنين ما ذكره الله تعالى

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٣٠٤.
(٢) الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ٥٠٨.
(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٣٠٣.

في قوله: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

لقد كاد الغضب أن يشعل حرباً بين أصحاب رسول الله ﷺ في حياته، عندما قام رجل يهودي إسمه «ساش بن قيس» وكان شديد الحقد على المسلمين، عظيم الحسد لهم، قام بالدخول على المسلمين، فوجد أن قبيلتي الأوس والخزرج قد تآلفوا تحت راية الإسلام، بعد طول عداء بينهما في الجاهليّة، فقال لمن معه: قد إجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم، إذا إجتمع ملأهم بها، من قرار.

فأمر فتًى شابّاً يهوديّاً بأن يعمد إليهم ويجلس معهم، ويثير فيهم النعرات الجاهليّة التي تقاتلوا بسببها في يوم «بعاث»، وهو اليوم الذي إقتتل فيه الأوس والخزرج.

وبالفعل فقد تأثّر رجال من الأوس، وآخرون من الخزرج بما قال، وأخذوا يتكلّمون ضدّ بعضهم البعض، ويتفاخرون على بعض، وأثير غضبهم، ثمّ إتفقوا على

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

المجابهة في منطقة «الحرة» وإرتفعت أصواتهم: السلاح السلاح.

وخرجوا بحسب الموعد الذي عيّنوه إلى تلك المنطقة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم مع بعض أصحابه من المهاجرين. فلمّا رآهم نادى قائلاً: «**يا معشر المسلمين.. الله الله، أبدعوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم، بعد أن هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، وإستنقذكم به من الكفر، وألّف به بين قلوبكم**»؟!.

فعرف القوم إنها نزعة من الشيطان، وكيدٌ من عدوّهم، فبكوا وعانق الرجال من الأوس رجال الخزرج، ثمّ إنصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، بعد أن أطفأ الله عنهم كيد عدوّ الله شاش بن قيس، ونزلت الآية المباركة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ۝١٠٠ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾[1].

---

(١) أسد الغابة، ابن الأثير، ج ١، ص ١٤٨.

٤٢

التكبّر من المواقع الحقيرة

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾[1].



ليس التكبّر بالضرورة ملازماً للمواقع المتقدّمة في مجال التجارات والعلوم والمناصب، بل قد يكون الشخص متكبّراً، وهو في مرتبة حقيرة.

فالتكبّر حالة نفسيّة في الفرد، فقد يكون متكبّراً جبّاراً، وهو مجرّد عامل بسيط، ولذلك ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «الكبر قد يكون في شرار الناس من كلّ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.

جنس، والكبر رداء الله، فمن نازع الله ﷻ رداءه، لم يزده الله إلّا سفالاً».

وأضاف: «إن رسول الله ﷺ مرّ في بعض طرق المدينة و(امرأة زنجيّة) سوداء تلقط السِّرقَين (أي روث وفضولات الحيوانات)، فقيل لها: تنحّى عن طريق رسول الله ﷺ.

فقالت: إنّ الطريق لعريض (ورفضت أن تتنحّى).

فهمّ بها بعض القوم أن يتناولها (أي يجبروها على التنحّي)، فقال رسول الله ﷺ: **«دعوها فإنها جبّارة»**[١].

وروي عن محمد بن عمر بن يزيد، عن أبيه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنني آكل الطعام الطيب، وأشم الريح الطيبة، وأركب الدابة الفارهة، ويتبعني الغلام، فترى في هذا شيئاً من التجبّر فلا أفعله؟

فأطرق أبو عبد الله عليه السلام، ثم قال: إنما الجبّار الملعون من غمص الناس وجهل الحق.

فقلت: أما الحق فلا أجهله، والغمص لا أدري ما هو؟

قال عليه السلام: من حقّر الناس وتجبّر عليهم، فذلك الجبار[٢].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٣٠٩.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٣١١.

٤٣

قلوب الأحداث

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾[١].



يخلق الله البشر طيّبين، فكلّ مولود يولد على الفطرة. فكما يخرج الماء نظيفاً من منبعه، مهما تلوّث بعد جريانه، كذلك الأمر مع الناس.

من هنا فإنّ من يريد الإصلاح فلابدّ أن يهتم بجيل الشباب، وقد ورد في الحديث عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما أُلقى فيها من شيء قبلته»[٢].

وقد روي أنه كان هنالك رجل من أصحاب الإمام

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٣.

(٢) نهج البلاغة، رسالة رقم ٣١.

الصادق عليه السلام يقوم بنشر معارف أهل البيت عليهم السلام، وإسمه أبو جعفر الأحول، فسأله الإمام يوماً: كيف رأيت مسارعة الناس إلى هذا الأمر، ودخولهم فيه؟

فقال الرجل: والله إنهم لقليل، ولقد فعلوا، وإن ذلك لقليل.

فقال الإمام: عليك بالأحداث، فإنهم أسرع إلى كلّ خير[1].

قلوب الشباب في العادة أكثر رقّة، وأقل قساوة، وأقرب إلى قبول ما هو جديد، وهذه قاعدة في جميع الفئات وجميع المجتمعات.

فمثلاً عندما تاب إخوة يوسف عليه السلام وإعترفوا بذنوبهم وطلبوا من أبيهم العفو و: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾[2]، لم يستغفر لهم أبوهم فوراً، بل: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3].

ولكن لمّا قال إخوة يوسف عليه السلام له: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٨، ص ٩٤.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٩٧.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٩٨.

﴿ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾[1]، قال يوسف عليه السلام فوراً: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[2].

ولقد سأل رجلٌ الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: لماذا أجلّ يعقوب عليه السلام الاستغفار لإخوة يوسف عليه السلام، بينما بادر يوسف عليه السلام إلى العفو عنهم فوراً وقال: اليوم يغفر الله لكم؟

فقال الإمام عليه السلام: لأنّ قلب الشاب أرقّ من قلب الشيخ، وكانت جناية ولد يعقوب عليه السلام على يوسف عليه السلام، وجنايتهم على يعقوب كانت بجنايتهم على يوسف. فبادر يوسف عليه السلام إلى العفو عن حقّه، وأخّر يعقوب عليه السلام العفو لأن عفوه إنما كان عن حقّ غيره، فأخّرهم إلى السحر ليلة الجمعة[3].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٩١.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٩٢.

(٣) سفينة البحار، الشيخ عباس القمي، كلمة (قلب)، ص ٤٤٢.

٤٤

الشكر

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾[1].



لو قدّم لك أحد هديّة، أو قضى لك حاجة فإنّ واجبك تجاهه هي أمور ثلاث:

الأوّل ـ أن تشكره على فعله.

الثاني ـ أن تردّ جميله بجميل مثله ولو بعد حين.

الثالث ـ أن لا تستخدم هديته لك، في أمر يثير سخطه أو يضرّ به.

هذا مع البشر، أمّا مع ربّ العباد، فإنّ شكره على نعمه يتطلّب أمرين فقط:

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٢.

الأوّل ـ أن تشكره، بقلبك ولسانك. الثاني ـ أن لا تعصيه بتلك النعم.

أمّا ردّ الجميل فربّنا غني عنه.

وإذا شكرت ربّك على نعمه زادك الله تعالى منها، كما يقول تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1].

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «من أنعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه، فقد أدّى شكرها»[2].

وهنا ملاحظة، وهي: إنه لا يستطيع أحد أن يؤدّي شكر نعم الله، أوّلاً: لأنها غير محدودة: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[3]، لأنّ كلّ نعمة هي مستمرة في وجودها بسبب إرادة الله تعالى.

وثانياً: لأنّ كلّ شكر لنعمة الله يستوجب شكراً جديداً، بسبب التوفيق للشكر.

وفي الحديث: إنّ موسى عليه السلام قال: «إلهي، كيف

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٩٦.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

إستطاع آدم أن يؤدّي شكر ما أجريت عليه من نعمتك: خلقته بيديك، وأسجدت له ملائكتك، وأسكنته جنّتك؟

فأوحى الله إليه: «إنّ آدم علم أن ذلك كلّه منّي، ومن عندي، فذلك شكره»[1].

ثمّ إنّ أكثر ما يوجب علينا الشكر نعمة الهداية والتوفيق لما فيه رضا الله تعالى. يقول الزهري: دخلت مع عليّ بن الحسين عليه السلام على عبد الملك بن مروان، فاستعظم عبد الملك ما رأى من أثر السجود بين عيني عليّ بن الحسين عليه السلام.

فقال عبد الملك: يا أبا محمّد، لقد بان عليك الاجتهاد، ولقد سبق لك من الله الحسنى، وأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله، قريب النسب، وكيدُ السبب (موثق الارتباط) عملاً بالنبيّ، وإنك لذو فضلٍ عظيم على أهل بيتك وذوي عصرك، ولقد أوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك، ولا قبلك إلّا من مضى من سلفك. (وهكذا أقبل يثني عليه ويطريه).

---

(١) روضة الواعظين، الفتال النيسابوري، ج ٢، ص ٤٧٤.

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: كلّ ما ذكرته ووصفته من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيقه، فأين شكره على ما أنعم؟[1]

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ١، ص ١٢٦.

٤٥

الدعاء والشجاعة والمنطق القوي يدفع شرور الأعداء

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۝١١﴾[(١)].



أن تطلب ما تحتاج إليه ممن بيده أرزاق الناس وأعمارهم وأرواحهم، وأن تكون شجاع القلب، وتقول كلمتك بكل جرأة.. ذلك كفيل بأن ينجّيك من الأخطار المحدقة.

روي أنّ المنصور العبّاسي، الذي عُرف بالشدّة والغلظة وعدم التورّع في سفك الدماء، قدم المدينة أيام

---

(١) سورة القمر، الآيات: ٩ ـ ١١.

الحج عام ١٤٧ هـ، وكان قد وُشي إليه أن الإمام جعفر الصادق عليه السلام يجمع الرجال ليثور عليه. وكانت الوشاية باطلة، إلّا أن بني العبّاس كانوا أساساً يخشون من العلويّين، لعلمهم بأن المقام الذي يحتلّونه إنما هو للعلويّين وليس لهم..

فغضب المنصور، فأمر حاجبه الربيع أن يأتي بالإمام مخفوراً، وقال: ابعث إلى جعفر بن محمّد من يأتي به تعباً. ثمّ قال: قتلني الله إن لم أقتله.

فأرسل الربيع بعض الجند إلى الإمام وجاؤوا به إلى المنصور، فلمّا دخل عليه بادره بالسّلام، فقال المنصور وهو في أشدّ حالات الغضب: لا سلّم الله عليك، يا عدوّ الله، تلحد في سلطاني، وتبغيني الغوائل في ملكي، قتلني الله إن لم أقتلك!

فقال الإمام عليه السلام بكلّ هدوء: إنّ سليمان عليه السلام أُعطي فشكر، وإنّ أيّوب عليه السلام إبتلي فصبر، وإنّ يوسف عليه السلام ظُلم فغفر، وأنت من ذلك السنخ.

ثمّ بدأ الإمام يقرأ في السرّ شيئاً..

فأطرق المنصور طويلاً، ثمّ رفع رأسه، وقال: أنت

عندي يا أبا عبد الله البريءُ الساحة، السليم الناحية، القليل الغائلة، جزاك الله عن ذي رحم خير ما يجزى ذوي الأرحام عن أرحامهم.

ثمّ تناول يده، فأجلسه على مفرشه، ثم قال: يا غلام؛ عليَّ بالمنفخ. والمنفخ مدهن كبير فيه غالية. فأتى به فغلغه بيده حتى خلت لحيته قاطرة. قال: في حفظ الله وكلاءته. يا ربيع، ألحق أعط أبا عبد الله جائزته وكسوته وانصرف.

قال الربيع: فلحقته، فقلت: إنّي رأيت ما لم تر (ويقصد أنه رأى غضب المنصور)، ورأيت بعد ذلك ما قد رأيت، وقد رأيتك تحرّك شفتيك، فما الذي قلت؟

قال الإمام عليه السلام: نعم، إنك رجل منّا أهل البيت، ولك محبّة وود. قلت: «اللّهمّ أحرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يُرام، وارحمني بقدرتك عليَّ، لا أُهلك وأنت رجائي. يا ربّ، كم من نعمة أنعمت بها عليَّ، قلّ لك عندها شكري، فلم تحرمني»؟

«فيا من قلّ عند بليّته صبري، فلم يخذلني»..

«يا من رآني على المعاصي، فلم يفضحني».

«يا ذا المعروف الذي لا ينقضي أبداً، ويا ذا النعم التي لا تُحصى عدداً، أسألك أن تصلّي على محمّد وآل محمّد، بك أدرأ في نحره، وأعوذ بك من شرّه. اللّهمّ أعنّي على ديني بدنياي، وعلى آخرتي بتقواي، واحفظني فيما غبت عنه، ولا تكلني إلى نفسي فيما حضرته».

«يا من لا تضرّه الذنوب، ولا تنقصه المغفرة، اغفر لي ما لا يضرّك، واعطني ما لا ينفعك، إنك أنت الوهّاب، أسألك فرجاً قريباً، وصبراً جميلاً، ورزقاً واسعاً، وعافية من جميع البلايا، وشكر العافية»(١).

(١) الفرج بعد الشدة، القاضي التنوخي، ج ١، ص ٧١.

٤٦

عذاب الضمير إلى حدّ الجنون

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ... فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٣٠ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ۝٣١﴾[1].



التخلّص من عذاب الضمير أصعب مليون مرّة من ارتكاب الجريمة.

ولو فكّر الذين يرتكبون الجرائم في عواقب أمورهم لتورع ما لا يقل عن ٨٠٪ منهم عن إرتكاب أية جريمة.

ولعلّ من أهم عواقب الجريمة عذاب الضمير والذي قد يؤدّي إلى جنون صاحبها..

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٢٧ ـ ٣١.

ومن جملة هؤلاء، أحد ولاة بني أميّة، وإسمه محمّد بن شهاب الذي ارتكب في لحظة غضب جريمة قتل.. ثمّ أدّى به تأنيب الضمير إلى اعتزال الناس، والتزام الصمت المطبق، فجاء به أهله إلى مكّة لعلّ الله يشافيه مما هو فيه.

وروي أنه كان عليّ بن الحسين عليه السلام في الطواف، فنظر في ناحية المسجد، فرأى جماعة يلتفّون حول هذا شخص، فقال عليه السلام: ما هذه الجماعة؟

فقالوا: هذا محمّد بن شهاب الزهري إختلط عقله، فليس يتكلّم فأخرجه أهله، لعلّه إذا رأى الناس أن يتكلّم.

فلمّا قضى عليّ بن الحسين عليه السلام طوافه جاء إليه، فلمّا رآه محمّد بن شهاب عرفه، فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: ما لك؟

فقال الرجل: وُلّيت ولايةً فأصبت دماً، فقتلتُ رجلاً فدخلني ما ترى.

فقال له الإمام: لأنا عليك من يأسك من رحمة الله أشدّ خوفاً منّي عليك مما أتيت، ثم قال له: أعطهم الديّة.

قال الرجل: قد فعلت، فأبوا (أن يأخذوا الدية).

فقال الإمام عليه السلام: اجعلها صُرراً، ثمّ أنظر مواقيت الصّلاة، فألقها في دارهم[1].

❖

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من لم يتأدّب بأدب الله، تقطّعت نفسه على الدنيا حسرات**»[2].

يقول الإمام علي عليه السلام: «لا يحمد حامد إلّا ربّه، ولا يلم لائم إلّا نفسه»[3].

ويقول عليه السلام أيضاً: «أشد الناس ندامة وأكثرهم ملامة العجل النزق، الذي لا يدركه عقله إلّا بعد فوت أمره»[4].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٧، ص ٢٩٦.

(٢) فقه الرضا، الشيخ علي بن بابويه القمي، ص ٣٦٤.

(٣) نهج البلاغة، خطبة رقم ١٦.

(٤) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص ١١٥.

٤٧

احترام الوثائق

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ﴾[١].



في كثير من المعاملات بين الناس يعمد الطرفان إلى تبادل الوثائق، وهي قد تكون أوراقاً يوقّعان عليها، أو عيناً يتبادلونها، أو أي شيء آخر، المهم أن المطلوب بكلّ الأحوال هو إحترام الوثائق، وهذا ما كان يفعله الصالحون.

فقد روى أنه كان للإمام زين العابدين عليه السلام مولىً قد أطلقه، فعمل بالتجارة وأصبح ذا مال. ولمّا تعرّض الإمام

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

لضائقة ماليّة أتى الرجل وقال له: «أقرضني عشرة آلاف درهم إلى ميسرة».

فقال الرجل: أريد وثيقة على ذلك.

فشقّ الإمام له من ردائه هدبة (قطعة خيط)، وقال له: «هذه الوثيقة».

فأخذها الرجل منه، وأعطاه الدراهم، وجعل الهدبة في حُقّ (قوطيّة صغيرة).

وبعد فترة وجيزة سهّل الله ﷻ للإمام عليه السلام أمره، فحصل على المال، فحمله إلى الرجل، ثمّ قال له: «قد أحضرت لك ما لك، فهات وثيقتي».

فقال الرجل: جعلت فداك، ضيّعتها.

فقال الإمام: «إذن لا تأخذ مالك منّي».

وأضاف: «ليس مثلي من يستخفّ بذمّته».

فأخرج الرجل الحُقّ، فإذا فيه الهدبة، فأعطاه لعليّ بن الحسين عليه السلام، فأخذها الإمام ورمى بها، ثمّ أعطاه الدراهم وإنصرف[1].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٥، ص ٩٧، بتلخيص.

إنّ قطعة الخيط لا قيمة لها، ولكنّها عندما تصبح وثيقة تكون لها قيمتها الكبرى، وهي: ذمّة الشخص.

❖

يقول رسول الله ﷺ: «**أصناف لا يستجاب لهم، منهم من أدان رجلاً ديناً إلى أجل فلم يكتب عليه كتاباً، ولم يشهد عليه شهوداً**»[1].

(١) بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، ج ١٠١، ص ٣٠١.

٤٨

سوء العاقبة

﴿قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[١].



كما في السباق ليس مهمّاً أن تربح في البدايات، إنما المهم أن تربح في النهايات، كذلك في أمر الإيمان أيضاً: المطلوب أن يعمل المرء بواجباته حتّى يأتيه اليقين، كما قال يعقوب النبيّ عليه السلام لبنيه: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[٢]، أمّا إذا انتهى المرء إلى نهاية سيّئة، فلا قيمة لبداياته الحسنة.

وهذا ما حدث لصاحب القصّة التالية:

روي أنه خرج أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة من مسجد الكوفة متوجّهاً إلى داره، وقد مضى ربع من الليل، وكان

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٢.

معه كميل بن زياد، فوصل في الطريق إلى باب دار رجل يتلو القرآن بصوت شجي حزين، وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1]، فاستحسن «كميل بن زياد» ذلك في نفسه، وأعجبه حال الرجل، من غير أن يذكر شيئاً للإمام.

فالتفت إليه الإمام عليه السلام وقال: يا كميل! لا تعجبك طنطنة الرجل، إنه من أهل النار، وسأنبأك فيما بعد.

فتحيّر كميل لمكاشفته على ما في نفسه، ولشهادة الإمام عليه السلام بدخول الرجل النار، ولم تمض إلّا مدّة حتّى وقعت معركة الخوارج، حيث قاتلهم الإمام. ولمّا إنتهت المعركة أخذ الإمام سيفه وهو يستعرض القتلى ومعه كميل، فوضع رأس السيف على رأس أحدهم، وقال: يا كميل، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾.

وكان صاحب الرأس هو الذي كان يقرأ تلك الآية في ذلك الليل[2].

❖

(١) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٢) بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، ج ٣٣، ص ٤٠٠.

ويقول رسول الله ﷺ: «**من نظر في العواقب سلم في النوائب**»[1].

يقول الإمام علي عليه السلام: «عجبت لمن عرف سوء عواقب اللذات، كيف لا يعف»[2].

ويقول عليه السلام أيضاً: «ألا ومن تورّط في الأمور من غير نظر في العواقب، فقد تعرّض لمفدحات النوائب»[3].

ويقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إحذروا عواقب العثرات»[4].

---

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ١١، ص ٣٠٨.

(٢) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ١١، ص ٣٤٦.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٢٢١.

٤٩

حسن العاقبة

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[١].



من أفضل ما يمكن أن يحصل عليه المرء في هذه الحياة هو حسن التوفيق وحسن العاقبة، وهذا يتطلّب منه إرادة ذلك، كما يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[٢]، ومن ذلك التوبة عن الذنوب، وأداء جميع حقوق الآخرين.

وهذا ما فعله صاحب القصّة التالية:

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٩.

يقول عليّ بن أبي حمزة البطائني: كان لي صديق من كتّاب بني أميّة، فقال لي ذات يوم: إستأذن لي على أبي عبد الله الصادق عليه السلام. فاستأذنت له، فلمّا دخل سلّم وجلس، ثمّ قال: «جعلت فداك، إنّي كنت في ديوان هؤلاء القوم، فأصبت من دنياهم مالاً كثيراً، وأغمضت في مطالبه، (أي لم أهتم بمصادره هل هو من حلال أو حرام).

فقال الإمام: «لولا أن بني أميّة وجدوا من يكتب لهم، ويجبى لهم الفيء، ويقاتل عنهم، ويشهد جماعتهم، لما سلبونا حقنا. ولو تركهم الناس وما في أيديهم، ما وجدوا شيئاً إلّا ما وقع في أيديهم.

فقال الرجل: «جعلت فداك، فهل لي من مخرج منه؟

قال الإمام: «إن قلت لك تفعل؟

قال الرجل: «أفعل.

قال الإمام: «أخرج من جميع ما كسبت من دواوينهم، فمن عرفت منهم (أي من أصحاب الأموال التي صودرت منهم) رددتَ عليه ماله، ومن لم تعرف تصدّقت به، وأنا أضمن لك على الله الجنّة.

فأطرق الرجل طويلاً، ثمّ قال: «قد فعلت، جعلت فداك.

يقول ابن أبي حمزة: فرجع الرجل معنا إلى الكوفة، فما ترك شيئاً على وجه الأرض إلّا خرج منه، حتّى ثيابه التي على بدنه.

فقسمنا له قسمة (تصدّقنا عليه) واشترينا له ثياباً وبعثنا له بنفقة.

فما أتى عليه أشهر قلائل حتّى مرض، وكنّا نعوده، فدخلت عليه يوماً وهو في السوق (يحتضر)، ففتح عينيه، ثمّ قال: يا عليّ، لقد وفي لي ـ واللهِ ـ صاحبك.

ثمّ مات الرجل، فولّينا أمره، فخرجت بعد ذلك إلى المدينة، حتّى دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فلمّا نظر إليّ قال: يا عليّ، وفينا واللهِ لصاحبك.

فقلت: صدقت، جعلت فداك، هكذا قال لي والله عند موته»[1].



روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: إن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال له: يا رسول الله؛ أوصني.

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٥، ص ١٠٧.

فقال ﷺ له: **«فهل أنت مستوص إن أنا أوصيتك»**؟ حتى قال له ذلك ثلاثاً،

وفي كلها يقول الرجل: نعم يا رسول الله.

فقال له رسول الله ﷺ: **«فإني أوصيك إذا هممت بأمر فتدبّر عاقبته، فإن يك رشداً فامضه، وإن يك غياً فانته عنه»**[1].

(١) وسائل الشيعة، الشيخ الحر العاملي، ج ١٥، ص ٢٨٢.

٥٠

أهل جهنم

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[1].



بحسب الديانات، فإنّ المحسن والمسيء ليسا في العاقبة بمنزلة سواء عند ربّ العالمين.

فعاقبة أهل الخير نعيم أبدي في الجنّة، وعاقبة أهل الشرّ عذاب دائم في النار. ولكن ليس كلّ الذين يدخلون جهنّم سيبقون فيها خالدين، فرحمة الله عزّ وجلّ تشمل الكثير منهم، وبحسب كلام الإمام عليّ عليه السلام: «أقسمتَ أن تملأها من الكافرين، من الجنة والناس أجمعين، وأن تخلّد فيها المعاندين»[2].

---

(١) سورة الجن، الآية: ٢٣.

(٢) مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي، ص ٨٤٨.

أمّا الذين تابوا وأصلحوا، وشملتهم شفاعة الأنبياء والرّسل والملائكة فيغفر لهم.

والسؤال هنا: هل أهل النار هم فقط أولئك الذين سرقوا، وقتلوا، وصادروا حقوق الآخرين، أم أنّ في نار جهنّم جماعات أخرى؟

مرّة أخرى فإنه بحسب الديانات فإنّ الموازين التي بها يُدخل الله بعض العباد إلى الجنّة وبعضهم إلى النار، ليست هي من نوع موازين البشر، ومن ثمّ فلربّما يدخل الجنّة من يظن الناس بأنه من أصحاب النار، ﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾[1]؟

وكذلك فيما يرتبط بجهنّم، فإنّ المتظاهرين بالتديّن، من الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ويتكبّرون على الناس، ويوزّعون الجنّة والنار على هذا وذاك أيضاً من أصحاب النار.

ويقال هنا إنّ إبليس حينما سمع بأنّ بعض العصاة تشملهم رحمة الله، بشفاعة من يقبل الله شفاعته من نبيّ مرسل أو ملك مقرّب، تأسّف أسفاً شديداً وقال: بعد كلّ هذا التعب والنصب الذي أبذله حتّى أملأ جهنّم ممن

(١) سورة ص، الآية: ٦٢.

يتبعني، فإنّ كثيراً من أهل النار تشملهم رحمة الله ويدخلون الجنّة، فأكون في جهنّم لوحدي؟

فقيل له: لا تحزن، فإنّ كثيراً ممن كانوا يعتبرون أنفسهم صالحين، وبعضاً من الذين كانوا يرون أنهم وجبت لهم على الله الجنّة يدخلون في النار. ولا تخلو جهنّم على كلّ حال من روّادها، وهم الذين استخْفّوا بموازين ربّ العالمين، وليس بموازين البشر ومقاييسهم.



عن أبي هشام، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الخلود في الجنة والنار؟

فقال: «إنما خلد أهل النار في النار، لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً. وإنما خلد أهل الجنة في الجنة، لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً. فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء»(١).

وفي الحديث: قال الله عزّ وجلّ لموسى: «لا تتبع الخطيئة في معدنها فتندم، فإن الخطيئة موعد أهل النار»(٢).

---

(١) المحاسن، الشيخ أحمد بن محمد البرقي، ج ٢، ص ٣٣٠.
(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٤٩٨.

المحتويات